الجمهورية الجزائرية الديمراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

قسم اللغة العربية وآدبها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

ظاهرة الانزياح اللغوي في القرآن الكريم

- سورة مريم -

إعداد الطالب:

حمريط هيثم

الأستاذ المشرف:

بحوص زكري

السنة الجامعية :2016-2017

إهداء

إلى الأستاذ الفاضل: بحوص زكري

أتقدّم إليك بأسمى عبارات الشكر والتقدير على

التوجيهات القيمة والنصائح الطيبة والإرشادات التي لم

تبخل بها عليّ طوال فترة إنجاز هذه المذكرة ,

والتي سمحت لي بالسير على المنهج السليم .

إلى كل أساتذتي الأفاضل بجامعة المسيلة

إلى كل من علمني حرفا

إلى كل من أسدى إلي نصحا أو كلمة طيبة

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد

أقدم خالص الشكر والتقدير

هيثم حمريط

شكر وعرفان

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وأصلي وأسلم على نبي الرحمة محمد ﷺ

وبعد أن أشكر الله تعالى شكرا عظيما لأنه وحده الهادي والموفق للخير

ومراتب الكمال وبعد أن أصلي على خير خلقه تيمنا بحديثه : " حبر العالم أقدس من دم الشهيد

وانطلاقا من مقولة نجيب محفوظ : " الكمال حلم يعيش في الخيال ولو تحقق في الوجود

ما طابت الحياة لحي " فإنني أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى الذين

يحترقون شمعة لإنارة درب الآخرين , وإلى كل من حباهم الله بفضله ومجدهم بحكمته

إلى كل من علّم وتعلّم وأضاف للعلم أساسا .

إلى الوالدين الكريمين :

إلى كل من شجعني وساعدني من قريب أو من بعيد

إلى كل من دعا لي بالنجاح والتوفيق

إلى كل من يقدر العلم والمعرفة

إلى كل من تتلمذ وتلمذ .

إليكم جميعا

كامل الشكر والتقدير موسوما بالمحبة والإخلاص

أهدي هذا العمل المتواضع شكرا وعرفانا

هيثم حمريط

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري

واحلل عقدة من لساني يفقه قولي

مقدمة

إن القرآن كلام الله المعجز، لايلتبس بغبار القدم ولا يتكدر إثر مضي الزمن ،وهو ينبوع الدراسات التي قام بها العرب وحتى غيرهم ، ففي قوله عز وجلّ :{ إِنَّا أَنزلْنَاهُ قُرآنًا عَرَبيا لَعلَّكم تَعْقِلُون} يوسف2، دلالة على أنّه قد جاء عربيا في مفرداته وتراكيبه وعباراته وأساليبه ،فهو بهذا لم يخرج عن المعهود في لغة العرب، ولكنّه أعجزهم بأسلوبه وأفحمهم بحجّته وسحرهم ببلاغته، وتحدّاهم بأن يأتوا بمثله لقوله تعالى :{ قُل لَئِنِ اجْتمعتِ الإنسُ وَالجنُّ عَلَى أَنْ يَأتُوا بِمثْلِ هَذَا القُرآنِ لاَ يَأتونَ بِمثْلهِ وَلَوْ كَانَ بَعضُهُم لبعضٍ ظَهيرًا}الاسراء88، فقد التقى حوله العرب والعجم خضوعا، وقدّسوه إعظاما وإجلالا، وأعملوا عقولهم في تأسيس علومه وسخّروا فهومهم لتصنيفها وتبويبها، وأقلامهم لتدوينها وتوثيقها، وتسابق العلماء في استنباط وجوه الإعجاز القرآني وأسرار البيان الرباني .

ولا يزال بهذا القرآن الكريم بتعاقب الأجيال بحرا زاخرا بأنواع المعارف والعلوم، يحتاج من يرغب في الحصول على لآلئه ودرره أن يغوص في أعماقه ويجول فيها، وعلى كثر ما ألّف العلماء من أسفار ضخمة وكتب نفيسة فإن هذا الكتاب وحده يبقى زاخرا بالعجائب، مملوءا بالدرر والجواهر، وبتنوع علوم العربية في رحابه، وتعدد فنونها وتشعب فروعها، وتنوع موضوعاته، لا يسع الباحث إلا أن يقصد إلى موضوع يستنبط أصوله، ويستظهر مكنونه ويستكشف أسراره، ويستبين قيمته وجماله وبهذا فإن الأمل كان يراودني منذ زمن طويل ،للغوص في آيات هذا الكتاب، ولو في جزء يسير منه لتذوق بعض مكامن السحر والجمال فيه، مركزا في بحثي هذا على إحدى أكثر الظواهر الأسلوبية تردّدا وأوسعها انتشارا في النص القرآني، هي ظاهرة الانزياح .

وتأسيسا على ما تقدم كان هذا البحث الموسوم بـ:" ظاهرة الانزياح اللغوي في سورة مريم"، في محاولة لرصد الإنزياحات الواردة في هذه السورة من مختلف مستويات اللغة، الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وما دفعني لاختيار هذا الموضوع كمادة للبحث والدراسة أمور عدّة منها:

أولا : اتصال هذا النوع من الدراسة بالقرآن الكريم رغبة في فهم وتذوق النص القرآني باعتباره أهم مصدر عربي تنوعت فيه طرائق التعبير البلاغية.

ثانيا: الرغبة في الوقوف على صور ظاهرة الانزياح ومالها من أثر بالغ في توجيه المعنى

ثالثا: محاولة لربط الدراسات القديمة والحديثة، واستثمارها في قراءة معاني القرآن الكريم.

حيث أنّ ظاهرة الانزياح عن الأصل المثالي للغة تعدّ ركيزة أساسية من ركائز الدراسات الأسلوبية الحديثة في تناولها للنصوص الأدبية، والكشف عن التحولات المختلفة للبنى التركيبية في توترها الدائم بين البنية السطحية الإبداعية، والبنية العميقة المثالية ،فأسلوب الانزياح اللغوي إنتاج إبداعي ملازم للخطاب الأدبي ،بوصفه يحتوي على ركيزتين أساسيتين، أولاهما : الخروج عن البنية المثالية الأصلية ،وتجاوز الخطاب العادي المألوف ، والثانية : النية الجمالية التي تقف وراء البنى الإبداعية ،وتدعم تأثيرها في المتلقي ، ومن هنا تكمن أهمية هذا الموضوع في التعرف على هذه الظاهرة وقيمتها في الدرس اللغوي، ومحاولة الوقوف على أبرز صور الانزياح في النص القرآني من خلال سورة مريم ، وبيان جمالياتها، ودورها الدلالي و البلاغي في التعبير القرآني، عن طريق تحليل البنية اللغوية تحليلا عميقا يبين تحولات البنية في كل صورة من صور الانزياح ،ولذلك كان لابدّ من التعامل مع الأمثلة والشواهد المدروسة من خلال ثنائية " القاعدة والاستعمال" و" الحضور والغياب " مع الاحتفاظ بالقاعدة والسماح للانزياح بالتحرك داخل النص، وقد كان هذا من خلال منهج وصفي تحليلي يحاول رصد ظاهرة الانزياح، ويزيل بعض غوامضها، ويظهر محاسنها، محاولة في الوصول إلى فهم بلاغة النص القرآني والوقوف على جزئيات ومستويات اللغة الواردة واستخراجها، أو نماذج منها في سورة "مريم" .

ومما لاشك فيه أن هناك دراسات سابقة عديدة تطرقت لمثل هذا الموضوع بشكل عام، فهذا البحث ليس بالخطوة الأولى في دراسة النص القرآني، بل هناك دراسة لغوية حول سورة مريم منها " دراسة أسلوبية في سورة مريم لمعين رفيق أحمد صالح "، وبعض الدراسات القديمة والحديثة التي جاءت تحت مصطلحات مختلفة تتسع وتضيق ،كاللغويين أمثال ابن جني

والجرجاني و السكاكي، والمحدثين أمثال محمد أحمد ويس والعبد السلام المسدي ونور الدين السد وغيرهم،باختلاف تسميتهم للظاهرة، غير أن أغلب هذه الدراسات لم تكن خاصة بهذا الموضوع تحديدا، وإنّما كانت تتعرض له بالذكر وتشير غليه بصورة إجمالية تتعلق بعمومها بالجانب النظري، هذا بالإضافة إلى صعوبة التعامل مع نص مقدّس ليس من إنتاج بشري .

وبناءا على ما سبق فإن الإشكال الذي يحاول أن يعالجه هذا البحث ويقدم لنا إجابات في حدود الإمكان فيتلخّص في الإجابة عن هذه التساؤلات الآتية :

- ما مفهوم الانزياح وما أهدافه أنواعه؟
- ما عسى الانزياح يحمل في طياته من عوامل تشير إلى تطور موضوعي أو تحليل علمي ؟
- ما مدى وظيفة ظاهرة الانزياح في توجيه المعنى ؟

وبهذا فقد اقتضى موضوع البحث على أن ينتظم في هيكل تنظيمي قائم على :

مقدمة ومدخل، وثلاثة فصول مشفوعة بخاتمة، متبوعة بقائمة المصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات ,مع ملخص للدراسة في الأخير.

ذكرت في المقدمة طريقة تناول الموضوع وطرح الإشكالية ومنهجية البحث ، ثم ذكرت في المدخل تحديد مفاهيم الدراسة بشكل عام وما يربط ذلك من الدراسات اللغوية والظواهر الأسلوبية في الدراسة اللسانية، أي موقع الأسلوبية في الدراسات الإنسانية .

ثم عنونت الفصل الأول بـ: "الانزياح المصطلح والمفهوم"، واحتوى على خمسة مباحث، عرضت فيها تأصيل الانزياح وحدود المفهوم، بالإضافة إلى إشكالية ضبط المصطلح، ثم التطرق إلى الظاهرة في التراث وعند اللسانين المحدثين عرب وغرب ،لنخلص إلى أنواع الانزياح ، وتوظيفه في القرآن الكريم .

أما في الفصل الثاني: فقد تضمن دراسة تطبيقية للانزياح الصوتي والصرفي في القرآن الكريم من خلال سورة مريم، متناولا أهمية الدراسة الصوتية والبناء الصوتي لكلمات السورة، وملامح الأصوات والألفاظ فيها، ورصداً للانزياحات الصرفية الواردة ،وبنية الأسماء ،وورود صيغ بدل صيغ أخرى.

وجاء الفصل الثالث مكملا بدراسة تطبيقية للانزياح التركيبي والدلالي في السورة في محاولة للتنقيب عن أسرار هذين المستويين، من انزياحات تركيبية ناجمة عن التقديم والتأخير، والتكرار ، والإنزياحات الدلالية المتعلقة بالجانب البياني ودلالة للألفاظ ومميزاتها في السورة ورصد الإنزياحات الناجمة عن المشترك اللفظي والترادف والتضاد .

منهيا البحث بخاتمة دونت فيها بشكل مختصر النتائج التي المتوصل إليها .

ولم تخل الدراسة من بعض الصعوبات التي واجهتني منها:

- قلة المراجع المتخصصة بهذا الشأن وعدم فرزها بقدر طول سورة مريم
- ندرة المراجع التطبيقية في مثل هذه الدراسات

وأخيرا لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان لكل الأساتذة الذين ساندوني من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل وخاصة الأستاذ المشرف الذي لم يبخل عليّ في الأخير آمل أن أكون قد ساهمت بهذه الدراسة ولو بجزء يسير ليكون فيه شيء من الفائدة لمن يطالعه من الطلبة وغيرهم من الباحثين.

هذا والحمد لله وكفى والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى.

مدخل

مدخل :

تعدّ اللغة من أعظم الاكتشافات الإنسانية وأهم وسيلة اتصال تعبر عن النشاط الإنساني والعلمي والفكري والاجتماعي،فهي نظام عرفي ترمز إلى نشاط المجتمع، وكل تقدم كتب له التطور إنما تم لوجود اللغة، فهذا الارتباط التام بين اللغة والإنسان يؤكد أن اللغة من كيان الإنسان فلا إنسانية بدون لغة، وهي كما عرفها ابن جني في كتابه الخصائص:« ... أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم »[1]، فاللغة :" هي وحدها الكفيلة بإعطاء المرء مقوماته الإنسانية عبر تمكنه من إجراء العملية التواصلية، فهي نظام عرفي يرمز إلى نشاط المجتمع ،وكل تقدم اجتماعي كتب له تطور إنما تمّ لوجود اللغة، وباعتبارها رابطة تاريخية تربط الأجيال المختلفة رابطا يجعل وحدة الأجيال حقيقة ملموسة على الرغم من اختلاف العصور وذلك باعتبار أنها وعاء للتجارب الشعبية والعادات والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال واحدا بعد الآخر"[2]، فباللغة نتحدث عن الأشياء وباللغة نتحدث عن اللغة .

فنجد أن اهتمام العلماء باللغة لم ينقطع قط، خاصة المجتمعات التي كان للغاتها علاقة مباشرة بالدين[3]، وبما أن التغيير والتطور هما سنة الحياة ،فقد ظهر أبو اللسانيات دو سوسير ضمن "مناخ معرفي محكوم بالنسيج المعرفي الذي كان سائدا طيلة القرن التاسع عشر حيث كان يسود جل المعارف والعلوم منزعان بهما تحددت فلسفة المناهج المعرفية كليّة : فأما أولهما ،فهو منهج الوعي بأثر التاريخ وفعله في صيرورة الإنسان، وأما ثانيهما فمنزع البحث عن القوانين المتحكمة في كل الظواهر: الطبيعية منها والاجتماعية"[4] .

فجاءت اللسانيات كعلم يهتم بدراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها دراسة علمية تقوم على "وصف وتفسير أبنية اللغات واستخراج القواعد العامة المشتركة بينها، والقواعد الخاصة التي

---

[1] ابن جني : الخصائص ،تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية العامة، ج1 ، (د ت) ،ط3 ،1999 .

[2] تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ،المغرب ، 1986 ، ص09 .

[3] ينظر شرف الدين الراجحي : مبادئ علم اللسانيات الحديث ، دار المعرفة الجامعية ،2003 ،ص29 .

[4] عبد السلام المسدي :ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية،مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع،تونس ،1994 ،ص 9 .

تضبط العلاقات بالعناصر المألوفة لكل لغة "، كما يعرفها محمود السعران في كتابه علم اللغة بأنها:« العلم الذي يتّخذ من اللغة موضوعا له... واللغة التي تدرسها إنما هي تتحقق في أشكال لغات كثيرة ، ولهجات متعددة ، وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني »[1].

ولقد استطاعت اللسانيات أن تدخل تغيرات جذرية على التاريخ اللغوي القديم، وتمكن الدرس اللساني من الخروج من المعيارية إلى مجال الوصف، بفضل جهود دي سوسير وإدخالها إلى عالم التكنولوجيا الحديثة ،حيث أن ما قدّمه عُدّ تأسيسا لمرحلة جديدة مغايرة لتصورات الدارسين السابقين، وإن كان قد أفاد من بحوثهم، لاسيما مع ما قدمه علماء النحو التقليدي العام من قبل، لدى الهنود، اليونان، الرومان والعرب (بالرغم من أن ما قدمه النحاة العرب واللغويون والبلاغيون باختلاف اختصاصاتهم، لا يقل عن كونه نظرة شاملة في دراسة اللغة العربية ...)، ودراسات الباحثين في القرون الوسطى وعصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر ميلادي، تضاف إلى هذا بحوث اللسانيات التاريخية والمقارنة التي برزت في القرن التاسع عشر.

فغزت اللسانيات جل الميادين الأخرى، حيث صار منهاجها هو المطبق على العديد من العلوم الإنسانية كالأنثروبولوجيا وعلم النفس التحليلي وغيرها من العلوم المجددة نحو الفونولوجيا وعلم الدلالة أو المستحدثة نحو السيمولوجيا، وعلم النفس والاجتماع اللغويين،" فلقد سنّت اللسانيات شريعة لمّا تتبعت الظاهرة اللغوية حيثما كانت حتى ولجت حقولا مغايرة لها، وكان من ثمار هذه الممارسة المستحدثة بروز علوم هي بالضرورة نقطة تقاطع علمين على الأقل، فسميت معارف متمازجة الاختصاص ومن بينها علم النفس اللغوي، والنقد اللساني والأسلوبية .

هذه الأخيرة ـ الأسلوبية ـ كغيرها من المصطلحات، قد كثرت حولها الدراسات واختلفت فيها الآراء، وقد عرفت تطورا في مسارها ومراحل تشكلها، وتمددا في مفهومها لارتباطها بمراجع فكرية متعددة ، وغنية في الآن نفسه، " فلقد أجرى هاتزفيلد إحصاءا عن المؤلفات التي كتبت

[1] عز الدين صحراوي: اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية، مجلة العلوم ،جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 5 ،فيفري 2004 ، ص147 .

في الأسلوب والأسلوبية خلال النصف الأول من القرن الماضي 1902-1952، فعدّ ألفي مؤلف[1]، هكذا أصبح الأسلوب من القضايا التي فرضت نفسها على الساحة الأدبية والبلاغية واللسانية مما يجعل من الضروري إلقاء نظرة خاطفة على هذا المصطلح، لمعرفة أهم مراحله ومكوناته ،والعوامل الفاعلة فيه، مما أدّى إلى مولد علم الأسلوب.

« ويعود مصطلح علم الأسلوب أو الأسلوبية(stylistics) في الأصل إلى كلمة أسلوب(style) المشتقة من الأصل اللاتيني(stylus) ، وتدل على أداة مصنوعة من المعدن أو العظم تستعمل لكتابة الرسائل على ألواح الشمع »[2]، والأسلوبية لفظة مشتقة من الأسلوب الذي يعدّ جذر الكلمة وهو مأخوذ من المادة اللغوية "سلب"، وتعني السطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب أيضا الطريق والوجه والمذهب، ويجمع في أساليب، والأسلوب الفن كذلك، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه".[3]

والمتتبع لتاريخ الدراسات الأسلوبية بهذا المصطلح يجدها قد بدأت جذورها الأولى عام 1875م، حيث أطلق " فون درجابلنتس" مصطلح الأسلوبية على دراسة الأسلوب عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية أو هي ما يفضله الكاتب من الكلمات والتراكيب ويؤْثره على ما سواه لأنه يجده أكثر تعبيرا عن فكرته ونفسه [4].

ولم تتوضح معالم الأسلوبية إلا بعد جهود ديسوسير في عمله الشهير "محاضرات في اللسانيات العامة"، الذي رأى أن اللغة خلق إنساني ونظام تحمل الأفكار وبالتالي تعطي قيمة تعبيرية متجددة للأسلوب، و وترى اللسانيات السوسيرية أن:« الأسلوب ظاهرة تتعلق بالكلام حيث يقوم المتكلم باختيار مواقفه الكلامية، سواء أكان اختيارا واعيا ومقصودا، أو اختيار ذو

---

[1] ينظر أحمد درويش : الأسلوب والأسلوبية " مدخل في المصطلح وأصول البحث ومباحثه ،مجلة فصول ، المجلد 5 ، العدد 1 ، ص63 .

[2] إبراهيم عبد الجواد:الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، دار المكتبة الوطنية عمان ، ط1 ،1996 ، ص37 .

[3] بن عزة محمد: البنيات الأسلوبية والدلالية في ديوان أطلس المعجزات للشاعر صالح خرفي رسالة ماجستير، إشراف عبد الحفيظ بورديم، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ،2010-2011 ، ص10 .

[4] ينظر محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا ، منشورات وزارة الثقافة ،دمشق ،ط1 ، 1989 ، ص 17 .

عدول عفوي وبسيط، فيكون الأسلوب وقتئذ هو ذلك العدول العفوي الكلامي الفردي عن اللغة، ومن ثمة يمكن إنتاج مواقف لغوية خاصة بناءا على ذلك العدول »[1]، فهو استعمال خاص للغة يقوم على استعمال عدد من الإمكانات والاحتمالات المتاحة، والتأكيد عليها في مقابل إمكانات واحتمالات أخرى، لأن لها القدرة على التعبير عن ذلك القصد في ذلك الموضع ، وذلك لغرض التأثير في المتلقي مهما كانت درجته.

هذه الفكرة التي حاول تلميذه شارل بالي التركيز عليها باعتبار اللغة نظام من العلاقات تبرز الجانب الفكري والانفعالي للمتكلم واتجه لدراسة الأسلوب بالطرق اللغوية، فعمل على تأسيس قواعد للأسلوبية من خلال بنيوية اللغة مستفيدا من طروحات أستاذه، وعليه يتفق مؤرخو النقد في أن بالي هو من أصّل الأسلوبية حين نشر كتابه الأول " بحث في الأسلوبية الفرنسية "1902، وقد عرّفها بأنها" العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي أي التعبيرعن واقع الحساسية الشعورية، من خلال اللغة، وواقع اللغة عبر الحساسية"[2]، فمهمة علم الأسلوب عنده هي البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلة المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة .

وغير بعيد عن هذا التحديد يؤكد بيير جيرو " البعد اللساني للأسلوبية، طالما أن جوهر الأثر الأدبي لا يمكن النفاذ إليه إلا عبر صياغاته الإبلاغية ، لينتهي باعتبارها بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف، إنها علم التعبير، وهذا العلم الجديد للأسلوب له أهدافه ومناهجه"، ويقول في هذا المصطلح: « ليس ثمة شيء أحسن تعريفا، من كلمة أسلوب فالأسلوب طريقة في الكتابة، وهو من جهة أخرى طريقة في الكتابة لكاتب من الكتاب ولجنس من الأجناس، ولعصر من العصور ».[3]

---

[1] فرج حمادو : المصطلح الأسلوبي في ترجماته العربية ـ رسالة ماجستير. إشراف عبد المجيد عيساني ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، 2009-2010 ،ص17 .

[2] ينظر: بن عزة محمد :البنيات الأسلوبية والدلالية في ديوان أطلس المعجزات ، ص11 .

[3] بيير جيرو : الأسلوبية ، تر منذر عياش ، دار الحاسوب للطباعة، حلب سوريا ، ط2 ، 1992 ، ص9.

وفي سنة 1690م انعقدت بجامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية ندوة عالمية شارك فيها أبرز اللسانيين الأدباء وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وكان محورها"الأسلوب" ألقي فيها جاكبسون محاضرته حول " اللسانيات الإنشائية " فأكد سلامة بناء الجسر الواصل بين اللسانيات والأدب [1].

ولقد أشار الدارسون إلى علاقة الأسلوبية باللسانيات وركزوا في ذلك على المقاربات والمفارقات القائمة بينهما، ومن أهم هذه الفروق القائمة : أن اللسانيات تعنى أساسا بالتنظير إلى اللغة كشكل من أشكال الحدوث المفترضة، في حين أنّ الأسلوبية تتجه إلى المحدث فعلا، وأن اللسانيات تعنى باللغة من حيث هي مدرك مجرد تمثله قوانينها، وأن الأسلوبية تعنى باللغة من حيث الذي تتركه في نفس المتلقي كأداء مباشر، مع التأكيد على أن موضوع العلمين واحد هو اللغة فهي الهدف الأساس، ولكن مستويات تحليل هذه الظاهرة تختلف بينهما بحسب الغايات العلمية التي يتوخاها كل منه، وهذا ما أدى إلى اعتبار الأسلوبية رغم تطورها وامتلاك خصوصياتها فرعا من فروع اللسانيات شأنها في ذلك شأن علم الدلالة وعلم الإشارة - السيميولوجيا- وعلم الأصوات[2] .

ولم تكن كلمة (أسلوب) العربية وليدة الأزمنة القليلة الماضية، وإنما تمتد جذورها إلى العصور الأولى التي ظهر فيها النتاج الأدبي العربي،حيث وردت في العديد من المؤلفات التراثية اللغوية والأدبية والمعجمية، وكتب النقد والبلاغة، فقد" وجدت كلمة الأسلوب مجالا طيبا في الدراسات القديمة، خاصة في مباحث الإعجاز القرآني، التي استدعت بالضرورة من تعرضوا له أن يتفهموا مدلول الكلمة عند بحثهم المقارن بين أسلوب القرآن وغيره من أساليب العرب، متخذين ذلك وسيلتهم لإثبات الإعجاز، وتفاوت هذا المفهوم ضيقا واتساعا من باحث

[1] ينظر محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون : الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية ، مصر،ط1 ،1992 ،ص14 .

[2] ينظر هدية جبلي : ظاهرة الانزياح في سورة النمل –دراسة أسلوبية –رسالة ماجستير جامعة قسنطينة ، 2006 ،ص9 .

لآخر"[1]، فتطورت هذه الكلمة عبر الأزمنة المتعاقبة من اللغة إلى الاصطلاح تطورا متعدد المعاني والمفاهيم.

فإذا كان ثمة اتفاق لدى العرب التراثيين على أن الأسلوب طريقة تعبير ومنهج تأليف أو كيفية له، فإن نظرتهم إلى هذا المفهوم متعددة الأوجه، وكل منهم يربطه بجانب معين من اللغة أو فرع منها، وقد يمنحه تسمية أخرى تقترن بمصطلح آخر يوحي إليه في نهاية المطاف .

في حين أن عددا من الأدباء والنقاد العرب المحدثين قد تحدّثوا عن الأسلوب ضمن دراسات وبحوث أدبية أو بلاغية، وفي تلك المتعلقة بالإعجاز القرآني، أو انطلاقا من نقد لمقولات بعض النقاد الغربيين التي تناولت موضوع الأسلوب .

ولم يسلم هذا المصطلح من الانقسام عندما تلقفه الخطاب النقدي العربي، فقد انتقلت الأسلوبية إليه ـ إلى هذا الخطاب ـ بفضل تنظيرات المسدي في كتابه الأسلوبية والأسلوب سنة 1977 الذي طعّمه في طبعته الثانية سنة 1982م ببيلوغرافيا الدراسات الأسلوبية ، ويضع له شعارا مع العنوان مؤاده" نحو بديل ألسني في نقد الأدب"، ليتبع بعد ذلك بمؤلف لعدنان بن رذيل" التعبير والأسلوبية "1979م، ثم " اللغة والأسلوب" 1980م، ثم يعرف النقد العربي تطبيقات دراسية إثر محاولات محمد الهادي الطرابلسي الموسومة بـ " خصائص الأسلوب في الشوقيات " سنة 1981م، فكتاب محمد عبد المطلب " البلاغة والأسلوبية " الذي حاول ربط القديم بالحديث في عملية تواصلية بين الجرجاني وأحمد الشايب، ثم تلاه بعد ذلك جهود صلاح فضل في" علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته وسعيد مصلوح في كتابه" الأسلوب دراسة لغوية وإحصائية"، وكمال أبو ديب ومنذر عياشي، ونور الدين السد الذي خصّ الأسلوبية بأطروحة أكاديمية [2].

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية ،مكتبة ناشرون لبنان ،ط2 ،1994 ،ص353 .

[2] يوسف وغليسي : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف ، بيروت –الجزائر،ط1 ، 2008 ،ص183 .

وهكذا يمكننا القول أن الأسلوب هو طريقة الكاتب في تشكيل المادة اللغوية ،وعلى هذا الاعتبار يمكننا أن نعرف الأسلوبية على أنها منهج نقدي حديث، يتناول النصوص الأدبية بالدراسة، على أساس تحليل الظواهر اللغوية والأسلوبية بشكل يكشف الظواهر الجمالية للنصوص، ويقيّم أسلوب مبدعها، محددا المميزات الأسلوبية التي يتميز بها عن غيره من المبدعين،وهي حين تتحول إلى ميدان دراسة النص تستطيع أن تستفيد بشكل أعمق من كل منجزات الدراسات العلمية في مختلف ميادين العلوم الانسانية: اللسانيات، علم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة والأنتروبولوجيا والأنتولوجيا والتاريخ وعلوم أخرى.

ومن هذا فإن أهم سمات المنهج الأسلوبي :"استكشاف العلاقات اللغوية القائمة في النص، والظواهر المميز التي تشكل سمات خاصة فيه، ثم محاولة التعرف على الظواهر الغوية القائمة بينها وبين شخصية الكاتب، الذي يشكل مادته اللغوية وفق أحاسيسه ومشاعره التي تجعله يلحّ على أساليب معينة ،ويستخدم صيغ لغوية تشكل في مجملها ظواهر أسلوبية لها دلالتها في النص الأدبي" [1]، فتظهر أهمية الأسلوبية في كونها تنطلق من مصدر النص اللغوي للنظر في حركته وفك شيفراته, فهي بهذا علم يعنى بدراسة الخصائص اللغوية التي تنتقل بالكلام من وسيلة إبلاغ عادي إلى أداة تأثير فني.

وإذا كان الخروج عن النظام اللغوي الذي حدده اللغويون يقع على مستوي التعبير العادي أو النمطي، والذي لا يعني صاحبه بأكثر من إيصال الفكرة وتحقيق الجانب النفعي للكلام ، فإنه من الطبيعي أن يتضاعف هذا الخروج ،أو الانتهاك اللغوي في السياق الأدبي أو الخروج الفني حيث يعنى المبدع بالصياغة اللغوية وطريقة الأداء أكثر من اهتمامه بتوصيل الفكرة وتبليغها للآخرين، مع عدم انتهاك القواعد اللغوية إلى الحد الذي تضيع معه الفائدة و قواعد الكلام .

« فإذا كان اللغويون والنحاة قد حرصوا... على مثالية اللغة في مستواها العادي ، وهو المستوى الذي يعنيهم الاشتغال به ورعايته، فإن البلاغيين وهم المعنيون باللغة الفنية قد حرصوا ـ على

[1] خليل عودة : المنهج الأسلوبي في دراسة النص،مجلة النجاح للأبحاث ، المجلد 2 ، العدد 8 ، 1994 ، ص99 .

العكس من النحاة واللغويين ـ على تأكيد صفة مخالفة لابد من تحققها في الاستخدام الفني للغة ...هذه الصفة هي المغايرة أو الانحراف على مستوى معين من القواعد ،والمعايير المثالية التي تحكم اللغة العادية »[1]،

لذلك اهتمت معظم الدراسات الأسلوبية الحديثة بظاهرة الانزياح اللغوي،لأنه يمثل في الواقع عندهم أسلوب النص الذي يتميز به عن غيره من النصوص الأخرى ،" فإذا كان النص وليدا لصاحبه، فإن الأسلوب هو وليد النص ذاته" [2].

[1] عبد الحكيم راضي : نظرية اللغة في النقد العربي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،ط1 ،2003 ،ص207 .

[2] عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب ،الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2، 1982 ،ص88 .

الفصل الأول

الانزياح : المصطلح والمفهوم

المبحث الأول: مفهوم الانزياح:

أ- لغة :

لقد ورد في لسان العرب الجذر «زيح » بمعنى :زاح الشيء يزيح زيحًا وزيوحًا وزيحانًا، وانزاح:ذهب وتباعد[1] .

وفي قاموس المحيط نجد الفيروز آبادي قد عرّفه بأنه من زاح : يزيح زيحا و زيوحا وزيحانا : بعُد وذهب كانزاح وأزحته [2].

حيث أننا نلاحظ كلا من لسان العرب وقاموس المحيط لا يبدو عليهما الاختلاف في مفهوم الانزياح وفعل نزح الذي يدل على البعد .

ووردت مادة نزح في مقاييس اللغة لابن فارس بمعنى "زيح": وهو زوال الشيء وتنحيه ، يقال زاح الشيء يزيحٌ: إذ ذهب وقد أزحت علّته فزاحت وهي تزيح[3].

أما الزمخشري فقد جاء الانزياح في معجمه "أساس البلاغة " بمعنى: "زيح" أزاح الله العلل، وأزحت علّته فيما احتاج إليه ،وزاحت علّته وانزاحت وهذا ما تزاح الشكوك به من القلوب، ونزح: نزحت البئر،وبئر نزوح ،قليلة الماء ،وبلد نازح وقد نزح نزوحًا و انتزح انتزاحا : بعد، وإبل منازيح أي من بلاد بعيدة [4].

وفي معجم الصحاح للرازي نجد : نزح : "نزح البئر ، استقي ماءها كله وبابه قطع ، نزحت الدار بعدت وبابه خضع [5].

فنجد أن معظم المعاجم العربية القديمة اتفقت على أن معنى الانزياح هو البعد ، فالانزياح مصدر للفعل "نزح" الشيء ينزح نزحا ونزوحا إذا بعد، فنقول انزاحت الدار إذا بعدت، وبلد نازح وبعيد أي غير قريب، وقد نزح بفلان إذا بعد عن دياره .

---

[1] أبو الفضل جمال الدين ابن منظور:لسان العرب ،ط1، مج2،دار الكتب العلمية ،بيروت ،2003،ص552.

[2] الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ،تقديم وتعليق الشيخ أبو الوفا نصر الهزيمي المصري الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت ، 2004، ،مادة نزح .

[3] أحمد بن فارس : مقاييس اللغة ، ج3 تحليل : عبد السلام محمد هارون ،اتحلد الكتاب العرب ،دمشق ،2002 و ص39.

[4] عيون السود الزمخشري : أساس البلاغة : تح محمد باسل ودار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1989 ، ص428.

[5] محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي : الصحاح ، دار الحداثة ، ط2 ،1983 ، ص406.

ب- اصطلاحا:

يمكننا وضع تعريف غير مبهم ويكون باتفاق على أن الانزياح في مفهومه الاصطلاحي هو خروج عن المألوف وإبداع في الكلام له تأثيراته الجمالية وتجاوزاته الفنية المدهشة فهو "الخروج عن المعيار لغرض يقص إليه المتكلم" [1]. ويكون بقصد منه أو دون قصد ، إلا أنه في كلتا الحالتين يخدم النص بشكل أو بآخر بدرجات متفاوتة .

فالانزياح ما هو "إلا استعمال المبدع للغة, مفردات وتراكيب وصور استعمالا يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع وقوة وجذب وأسر"[2]. حيث أنه يعطي قدرة للمبدع ويسمح له بمراوغة اللغة والانزياح عن قوانينها المعيارية التي تحاول ضبط الخروج عن المألوف والمعتاد من اللغة ذاتها .

يقول نور الدين السد في حديثه عن الانزياح : «هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته ، ويمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب الأدبي ذاته »[3] .

ليكمل في إطار حديثه عن نفس الموضوع ـ الانزياح ـ وعلاقته بعلم الأسلوب بقوله : «الالتقاء الكامن بين علم الأسلوب والانزياح هو كون هذا الأخير يعني انتقال اللغة من مستواها العادي إلى مستواها الإبداعي، حيث تحيد عن سنن القواعد العامة وتتجاوزها، فبدلا من أن يكون لكل دال مدلول تتعدى مدلولات الدال الواحد وهذا ما عبّر عنه الأسلوبيون بالانزياح »[4]، فالانزياح هو الجانب الإبداعي لا الدلالي .

حيث وَرَدَ أن الانزياح مطابق مع الأسلوب وهذا ما نجده مؤكداً عند عديد الدارسين وبطبيعة الحال الأسلوبين أيضا مثلما هو الأمر مع **جون كوهن** الذي يقول :« الأسلوب

---

[1] -يوسف أبو العدوس : الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، دار الميسرة – الأردن ،ط1 ، 2007 ،ص7.

[2] -أحمد محمد ويس: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت – لبنان ،2005، ص7.

[3] -نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب ،ج1،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر ، 1997 ،ص 179.

[4] -المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

هو ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مصوغا في قوالب مستهلكة ... هو مجاوزة بالقياس إلى المستوى العادي، فهو إذن خطأ مراد »[1]، فالأسلوبية عنده مجموعة الإنزياحات المرادة فهي مجموعة أخطاء مقصودة من طرف المبدع، يحاول من خلالها تجاوز مجموعة من القوالب المستهلكة والمتداولة من استخدامات عامة ومعيارية للغة، تضفي عليها جانبا جماليا وتأثيرا معنويا قويا للمتلقي، وبهذا فالأسلوبية عنده علم خاص بالإنزياحات .

ونجد **ليوسبتزر** الذي اعتبر الأسلوب "انحرافا فرديا بالقياس إلى قاعدة " حيث لا يمكننا الانحراف عن الكلام العادي إلا بالأصل الذي يعدل عنه كونه معيارا ينزاح عنه حيث يرى **بيركيرو** أن " الانزياح يعرف كميا بالقياس إلى معيار "[2]. وهو أيضا ما أشار أليه أبو العدوس حيث اعتبر الأسلوب انزياحا عن قاعدة الاستعمال اللغوي وبهذا يجعل الأسلوب ظاهرة لا تخرج عن مفهوم الانزياح ،هذا بالإضافة إلى منذر عياش الذي يبين مفهومه للانزياح من خلال العلاقة بين اللغة المعيار والأسلوب المزاح، ومن هذا فهو يُظهر الانزياح على نوعين اثنين" إما خروج عن الاستعمال المألوف للغة، وإما خروج عن النظام اللغوي نفسه " [3]وبتوضيحه هذا فإننا نجد أن الانزياح أو الأسلوب المزاح كما يقول يبرز لنا بهاتين الحالتين نظرة فنية لغوية وجمالية يظهر فيها الإبداع .

ومن هنا وجبت الإشارة إلى أن الانزياح أو ما يسميه بعض النقاد والباحثين بالعدول أو الانحراف ـ سنأتي لتحديد المفاهيم المصطلحية فيما بعدـ يُعدّ أهم ما قامت عليه الأسلوبية من أركان حتى أنه قد عدّ عند بعض من أهل الاختصاص كلّ شيء فيها، وهو جوهر الإبداع، ولهذا فإننا نجده متناولا في عدة مجالات أو علوم، فلا نكاد نجد كتابا في الأسلوبية أو البلاغة أو النحو إلا وقد تطرق إليه فالانزياح إذن "مفهوم واسع يجب تخصيصه " كما يقول جون كوهن إذ كما تجدر الإشارة إلى أن هذا الأخير هو المنظر

[1] –جون كوهن : النظرية الشعرية :تج :أحمد درويش ،دار غريب –القاهرة ،ط1 ، 1999 ،ص 35.

[2] –ينظر: جون كوهن : بنية اللغة الشعرية : تج : محمد الولي العمري و دار توبقال ، ط1 ، المغرب ،1986، ص 16 .

[3] ينظر : يوسف أبو العدوس : الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، ص 188 .

الأول للانزياح فقد قام بصياغة لسانية لنظرية كاملة للانزياح وأشهرها كما يقر بذلك الباحث محمد العمري وذلك في كتابه "**بنية اللغة الشعرية**" حيث خرج من هذا البحث بنتيجة مفادها أن الصور البلاغية كلها تعمل بخرقها الدائم لسنن اللغة [1].

قد تعامل الأسلوبيون مع أن اللغة ذات مستويين، الأول : مستواها المثالي {العادي} ويتجلى في الوظيفة الإبلاغية على أساليب الخطاب،أي نمطها العادي, والثاني : مستواها الإبداعي {الفني} الذي يخرق الاستعمال المألوف للغة وينتهك صيغ الأساليب الجاهزة، ويهدف من خلال ذلك إلى الخطاب بطاقات أسلوبية وجمالية تحدث تأثيرا خاصا في المتلقي .

وإذا كانت هذه الأمور قد أكدت حرص النحاة واللغويين على مثالية اللغة في مستواها العادي فإن النقاد والبلاغيين قد حرصوا على تأكيد صفة مخالفة لابد من تحققها في الاستخدام الفني للغة ،هذه الصفة هي الانزياح ـ على نحو معين ـ عن القواعد والمعاير التي تحكم اللغة العادية ، أي أن النقاد والبلاغيين لا يلتفتون إلى ما يحرص إليه النحاة واللغويون من إظهار الكلام في صورة مثالية تلتزم بالقواعد في صرامة ودقة ، بل أنهم يسيرون في اتجاه آخر يقوم على انتهاك هذه المثالية والانزياح عنها في الأداء .[2]

غير أن هذا لا يعني انصراف النقاد والبلاغيين أو جهلهم بمثالية المستوى العادي من اللغة الذي أقامه النحاة واللغويين، بل إن هذا المستوى بمثاليته لم يغب عن أذهانهم لحظة واحدة، لسبب بسيط هو أنهم جعلوا منه مرآة ينعكس عليها انزياح المستوى الفني ومعيارا يقيسون إليه مقدار هذا الانزياح ومن هنا كان وعيهم به وحرصهم على تبيُّنه والتذكير به والتنبيه إليه في مثل قولهم :"أصل المعنى" و" رعاية للأصل"، لكن اعتدادهم بهذا الأصل لا يتجاوز مجرد الإشارة إليه لأنه يخلو ـ في نظرهم ـ من أي قيمة فنية، فإذا كان النحوي

[1] – ينظر : جون كوهن : بنية اللغة الشعرية ،ص 15 .

[2] – ينظر : راضي عبد الحكيم : نظرية اللغة في النقد العربي ، المجلس الأعلى للثقافة –القاهرة ، ط1 ، 2003 ، ص 211 .

يهتم بما يفيد أصل المعنى، فإن البلاغي منطقه بحركته فيما يلي هذه الإفادة من عناصر جمالية [1]، وبهذا فنحن نجد أنهم ينطلقون من الجانب المعياري كمصدر أصلي بحثا عن النظرة الفنية الجمالية .

ولذلك فلقد دارت مباحث علم المعاني في كثير من جوانبها حول الانزياح عن النمط المألوف على حسب مفهوم أهل اللغة وتقاليدهم في صناعة الكلام وهذا الانزياح يمثل الطاقات الإيحائية والإبداعية في الأسلوب .

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن البحث الأسلوبي ينصبُّ على اللغة الفنية (الأدبية) لأنها تمثل التنوع الفردي المتميز في الأداء بما فيه من وعي واختيار، وبما فيه من انزياح عن المستوى العادي المألوف، بخلاف اللغة العادية التي يتبادلها الأفراد بشكل مباشر وغير متميز ومنه ذهب بعض المنظرين للأسلوب إلى أنه نوع من الخطاب الأدبي المغاير للخطاب العادي.

وتقوم هذه المغايرة بين نوعي الخطاب على مرتكز أساسي يتمثل في أن الخطاب الأدبي إذا كان يستمد مادته من معجم لغته الذي ينتمي إليه ويقوم بتأليفها كي تؤدي وظيفتها في بث الفكر وتوصيل المعلومات ونقل الأحاسيس ، وإظهار الانفعالات باعتبار أن اللغة نظام من الرموز أو العلامات ، فإنه ـ أي الخطاب أو النص الأدبي ـ قد يكسر القواعد اللغوية الموضوعة أو يخرج عن النمط المألوف للغة ، أو يبتدع صيغا وأساليب جديدة أو يستبدل تعبيرات جديدة بأخرى قديمة أو يقيم نوعا من الترابط بين لفظين أو أكثر أو يستخدم لفظا في غير ما وضع له أصلا، وهذا الخروج عن الاستعمال العادي للغة يطلق عليه منظرو الأسلوب وعلماء اللسانيات عدة مصطلحات لعل أبرزها مصطلح "الانزياح"[2] .

وفي هدي ما تقدّم يظهر لنا أنّ الانزياح هو الفيصل بين الكلام العادي والكلام الأدبي، وإذا أردنا استجلاء الفروق بين هذين المستويين من الكلام فسنجد أننا أمام آراء كثيرة

[1] المرجع السابق، ص 214 ـ 215 .

[2] ينظر : سليمان فتح الله أحمد : الأسلوبية مدخل نظرية ودراسة تطبيقية ، الدار العنية للنشر والتوزيع ،ص 19 .

تؤكدها، فمن ذلك ما ارتآه عبد السلام المسدي حين قال:"أن الحدث اللساني العادي خطاب شفاف نرى من خلاله معناه، ولا نكاد نراه هو في ذاته، فهو منفذ بلّوريٌ لا يقوم حاجزًا أمام أشعة البصر، بينما يتميز عنه الخطاب الأدبي بكونه ثخنًا غير شفاف يستوقفك هو نفسه قبل أن يمكنك من عبوره أو اختراقه فهو حاجز بلوري طلي صورا ونقوشا، فصد أشعة البصر أن تتجاوزه [1].

فنجد في هذا أن الكلام أو الخطاب العادي يعتمد على المباشرة ويهدف إلى التبادل النفعي، ويتسم أيضا هذا الكلام بمحدودية معجمه، إذ ليس في لفظه الجديد ولا في معانيه المستحدث وهو لا يحتاج إلى جهد عقلي أو فكري لفهم المراد منه، في حين أن الخطاب الأدبي يصدر عن ملكة عند منشأه وهو يخاطب الوجدان ويسعى إلى أن يمس متلقيه مسًّا سامعا كان أم قارئا، كما يتميز بأن ألفاظه مختارة ومعانيه مبتكرة، وقد يحتاج لفهمه وبيان ما يراد به إلى إمعان الفكر وإعمال العقل [2].

ولعله الآن قد بدا لنا واضحا أن الانزياح ظاهرة أسلوبية تخص اللغة الفنية يمكن بواسطتها التعرف على الأسلوب الأدبي بل يمكن اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته ، فقد نظر تودوروف إلى الأسلوب معتمدا على مبدأ الانزياح، فكان أن عرفه بأنه:" لحن مبرر ما كان أن يوجد لو أن اللغة الأدبية كانت تطبيقا للأشكال النحوية الأولى "

وهذا ما جاء به جورج مونان ـ أي الفكرة نفسها ـ حينما قال : "ثمة أسلوب بالنسبة إلى بعضهم عندما تحتوي العبارة على انزياح يخرج بها عن المعيار "[3]. فعندما نقول مثلا (غطّى الظلام الأرض)و (البحر أزرق) فإننا بهذا نتكلم كما يتكلم كل الناس، فالعبارتان تم النطق بهما عبارتان حياديتان والتعبير فيهما يقف عند حدود الدرجة صفر من القول ،

[1] عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، ص 116 .

[2] المرجع نفسه ، ص117 .

[3] المرجع نفسه : 102-103 .

ولكن عندما نجد قوله سبحانه وتعالى :{والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس }[1], فإننا بهذا نسجل حدثا أسلوبيا، وذلك لأن السمات النحوية التي تتضمنها الأفعال "عسعس" و " تنفس" هي غير الصفات التي تتضمنها الأسماء "الصبح" و" الليل" .

المبحث الثاني :الانزياح واشكالية تحديد المصطلح

يعد تحديد المصطلح أمرا هاما في مجال البحث العلمي لأنه الوسيلة التي تمكننا من الوصول إلى تحديد دقيق للمفاهيم المراد مناقشتها، ثم إنه في الوقت ذاته " وسيلة لرصد التطور الداخلي في فرع من فروع المعرفة، وتجدر الإشارة إلى أن مصطلحات عدة وأوصاف كثيرة تعلقت بدائرة الانزياح، وان كانت هذه المسميات المختلفة هي في الحقيقة لمسمّى واحد كما أطلق عليها عدنان بن رذيل: "عائلة الانزياح" وما الاختلاف في التسمية إلّا نتيجة الاختلاف في النظرة إلى تطبيقاتها وتجلياتها"[2].

وقد أطلعنا الأسلوبيون بمجموعة مختلفة من التسميات والمصطلحات المتعددة لهذا المفهوم ، منهم عبد السلام المسدي في كتابه" الأسلوب والأسلوبية" حيث أوردها وصنفها حسب مرجعيتها الغربية :

المصطلح العربي	أصله الغربي	صاحبه
الانزياح	L'écart	فاليري
التجاوز	LE BUS	فاليري
الانحراف	LA Déviation	سبيتزر
الاختلال	LA DISTORISION	ويلك
الإطاحة	LA SIBVERSION	باتيار
المخالفة	L'INFRACTION	تيري
الشناعة	LE SCANDAL	بارت

[1] سورة التكوير :17-18 .

[2] عبد السلام المسدي: الأسلوب و الأسلوبية ، 79-80.

الانتهاك	LE VIOL	كوهن
خرق السنن	LA VIOLATION DE NORMS	تودوروف
اللحن	L'INCORRECTION	تودوروف
العصيان	LA TRANSGRESSION	أراجون
التحريف	L'ALTéRATION	جماعةمو[1]

ويبدو لنا من خلال ما تقدم أن تعدد المصطلحات التي أطلقت على ظاهرة "الإنزياح" تشير إلى مدى أهمية ما تحمله هذه المصطلحات من مفهوم، وإلى تأصُّلِه في الدراسات العربية والغربية غير أنه يشير في الوقت ذاته إلى أن مصطلح الانزياح غير مستقر، فهو يتسع ويضيق حسب كل مصطلح ، إذ أن تعدد الأسماء يجعل القارئ يظن أنه يتعامل في كل مرة مع مصطلح جديد، ولكن من المؤكد أن هذه المصطلحات ليست في مستوى واحد في دلالتها على المفهوم، بل إن كثيرا منها يسيء إلى لغة النقد لأنها بعيدة جداً عن اللياقة التي يحمل بالأدوات النقدية أن تتسم بها، ولذلك فإن المصطلحات الأكثر شيوعا هي: الانزياح والعدول والانحراف، وإن كان بعض الباحثين يستبعد مصطلح "الانحراف" لما يحمله من بعد سلبي ويقول صلاح فضل:"إن التحول عن مصطلح الانحراف على الانزياح قد ارتبط بما يخفيه الانحراف من إيحاء أخلاقي سلبي "[2].

"وإذا كان النقاد العرب قد استعملوا إلى جانب مصطلح الانزياح مجموعة من المصطلحات الأخرى التي هي عبارة مترادفات أو شروحات للمصطلح فإننا نجد أن هذا المصطلح قد عرف بالفرنسية على أنه { Ecart} وبالانجليزية { déviation} وبالألمانية { abweichung} ،وقد اختلفت تسميات هذا المصطلح في النقد الغربي على هذه الظاهرة الأسلوبية ، وذلك باختلاف النقاد الذين تعاملوا معه فقد عدّه بول فاليري "تجاوزا" ورولان

[1] عدنان بن رذيل: النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق،ط1 ،1989 ،ص26 .

[2] صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، مكتبة لبنان– بيروت ،ط1 ،1996 ،ص 63 .

بارت "فضيحة "وتودوروف "شذوذا" وجان كوهن "انتهاكا" وباتيار "إطاحة" وثيري "كسرا" وسبيتزر "انحرافا"[1].

أ- الانحراف la déviation

الانحراف ترجمة للمصطلح الأجنبي la déviation التي يبدو أنها شاعت أكثر من غيره والموجود في اللغتين الانجليزية والفرنسية وقد شاع استعماله لدى النقاد الذين تشبعوا بالثقافة الانجليزية، ومصطلح الانحراف كثير الاستعمال من طرف الدارسين والنقاد و الأسلوبيين، إذ يأتي في المرتبة الأولى من حيث الاستعمال في الدراسات النقدية الغربية والعربية، وعلى الرغم من أن دخوله ميدان النقد العربي لا يتجاوز تاريخه عقدين من الزمن في كتاب "نظرية المعنى في النقد العربي" لمصطفى ناصف الذي يبدو أنه من أوائل من استعمل المصطلح من النقاد العرب المعاصرين، وظل يستعمله فيما تلى من أبحاث، واستعمله أسعد حليم في ترجمته لمجموعة أبحاث طبعت تحت عنوان «الرؤية الإبداعية»[2].

إن فكرة " الانحراف" قد ثارت حول الرتب النحوية التي تمدنا بالبعد الجمالي في تركيب الكلام، وقد أكد قسم آخر على ضرورة الانحراف في الرتب النحوية كقاعدة للانحراف بالمعنى إلى معان راقية عما ألف بين الكتاب والأدباء وبقية المتلقين من معان متداولة ومألوفة، ومنه " لاستكشاف ما تهيئه الأنماط والتراكيب من قيم تعبيرية ويكون ذلك بواسطة المتابعة والملاحظة للمفردة والجملة وكيفية استخدام حروف الربط ودلالات الأصوات اللغوية ومن خلال ذلك كله يمكن رصد مفارق تؤدي في كثير من الأحيان إلى إيماءات معينة أو الإيحاء بها[3] .

[1] ينظر : المرجع السابق، ص 63 .

[2] أحمد محمد ويس : الانزياح وتعدد المصطلح ، مجلة عالم الفكر ،مج25 ،العدد3 ،جانفي/مارس ،1997 ،ص 61.

[3] أحمد محمد ويس : الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ،ص 55 .

وما هذه الدلالات والإيحاءات إلا غاية الأديب أو الشاعر التي يسعى إليها من خلال الانحراف الذي يشمل المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، بمعنى أن الوحدات اللغوية ضمن تركيب معين تلعب دورا مزدوجا .

ومنه يمكن القول أن الانحراف la déviation يهدف إلى توافق تراكيب الجملة مع المعنى المراد ،بغية تحقيق التواصل بين المرسل والمستقبل أو بين المبدع والمتلقي، وليس كما يظنه البعض أنه جورا على نظام اللغة، بل أن هذا الانحراف << يمكن أن يمثل ...نظاما وان لم يكن موافقا لسنن النحاة في رتبهم المحفوظة...وكيف يتيح لنا تحديد المدى والكيفية التي تتضح لغة الشاعر بما فيها من سمات انحرافية[1].

ب- **العدول:**

العدول مصطلح بلاغي قديم وقد وردت عَدَلَ في القاموس المحيط وجاءت بمعنى الإنصاف والوسطية، وإحقاق الحقوق، إذ أن العدل : كالعدالة ، والعدول والمعدلة ، عدل يعدل فهو عادل من عدول وعدل بلفظ الواحد[2].

وبالعودة إلى كتاب سيبويه في الكتاب نجده قد استعمل مصطلح "العدول"وأفرد له بابا سمَّاه " هذا باب ما جاء معدولا عن حده من المؤنث كما جاء المذكر معدولا عن حدِّه" وأعطى أمثلة كثيرة عن ذلك منها قول الشاعر :

لحقت حلاق بهم على أكسائهم *** ضرب الرقاب ولا يهم المغنم

فحلاق معدول عن الحالقة وإنما يريد بذلك المنية فهي لا تلحق[3] .

هذا أيضا بالإضافة إلى ابن جني في كتابه" الخصائص" الذي نجده يذكر مصطلح العدول وذلك بعقد بابا له سماه بعنوان " باب في العدول عن الثقيل على ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف".

---

[1] -ينظر مختار عطية : التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية ، ص 58 .

[2] -الفيروز أبادي :القاموس المحيط، ص 13 .

[3] -أبو بشر بن عثمان سيبويه : الكتاب ، ج3 ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ،ص270 .

كما استعمل عبد القاهر الجرجاني لفظ العدول أيضا في قوله :"اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين : قسم لا تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى اللفظ ... فالقسم الأول : الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد الاستعارة وكل ما كان فيه على الجملة ...مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر"[1]. فنجد أن الجرجاني أيضا استعمل المصطلح كسابقيه من القدماء ويعني به خروج اللفظ عن ظاهره .

وقد أشار عبد السلام المسدي إلى ترجمة المصطلح الأجنبي (l'écart) بالعدول، حيث عدّ هذا المصطلح الأجنبي عسير الترجمة لأنه غير مستقر في متصوره، ويذكر أن عبارة انزياح ترجمة حرفية للفظة (l'écart) على أن المفهوم ذاته قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز، أو نحيي لها عبارة استعملها البلاغيون في سياق محدد ، وهي عبارة العدول وعن طريق التوليد قد نصطلح بها على مفهوم العبارة الأجنبية [2]، حيث أن الملاحظ على كتاب المسدي " الأسلوب والأسلوبية " قد حاول لفت الانتباه فيه إلى ضرورة إحياء مصطلح العدول ، غير أنه لم يستعمله بل استعمل مصطلح الانزياح .

والعدول " رصد انحراف الكلام عن نسقه المألوف ، أو هو" الانتهاك " الحادث في الصياغة بمعنى أن العدول هو الخروج عن النمط التقليدي لبناء الجملة ، أو خروجا عن اللغة النفعية المعيارية النمطية إلى اللغة الإبداعية، فالعدول لا يكون ذا قيمة ومغزى إلا إذا احتمل الوجه الذي يجيء عليه بعد العدول إمكان وجود وجه آخر لترتيب الكلام، لكن المبدع في عمله الأدبي ينحى عما هو أصلي إلى استخدام الفرع لزيادة معنى وتحقيق دلالة " فأي تغيير في النظام التركيبي للجملة يترتب عليه بالضرورة تغير الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر [3].

[1] عثمان ابن جني : الخصائص ، 62.

[2] –ينظر عبد السلام المسدي : الأسلوب والأسلوبية ، ص 124 .

[3] – مختار عطية : التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية ، ص57 .

ج- **الانزياح:**

نظرا لعدم استقرار مصطلح الانزياح وتعدد مسمياته ، والتي منها ما ذكرناه سالفا فيما أورده عبد السلام المسدي وغيره، يمكن القول أن هذه التسميات المختلفة ما هي في الحقيقة " إلا لمسمى واحد أطلق عليه عائلة الانزياح ، وما الاختلاف في التسمية إلا نتيجة في الاختلاف في النظرة إلى تطبيقاتها وتحليلاتها "[1]، فما سبق من مصطلحات كانت عبارة عن مرادفات لمصطلح الانزياح، تبعده أو تقربه في بعض المفاهيم بدرجات بسيطة لكنها لا تشكل عائقا كبيرا يؤدي إلى اضطراب المفاهيم في اتجاهات عديدة ومختلفة، فكلّها تصبُّ في اللغة و الأسلوب والمعاني .

وما تجدر الإشارة إليه هو أن الانزياح مصطلح نقدي استعمل على نطاق واسع في الدراسات الأسلوبية والنقدية واللسانية العربية، لأنّه يرتبط بالمعنى الفني ولا يكاد يخرج إلى معان أخرى ،مما يعكس قبولا ورضا بما يؤديه من قدرة على الوصف من جهة، وما يمثّله من مناسبة للثقافة العربية تراثًا وحداثة من جهة أخرى، كما أن تشكيل الانزياح الصوتي وما فيه من مدٍّ من شأنه أن يمنح اللفظ بعدا إيحائيا يتناسب وما يعنيه في أصل جذره اللغوي من التباعد والذهاب [2].

ومن النقاد الذين فضّلوا هذا المصطلح ـ الانزياح ـ على غيره من المصطلحات الأخرى نجد نعيم اليافي الذي يقول :"وقد آثرنا في استخدام الانزياح (l'écart) ليس لأنه الأكثر شيوعا والأكثر دورانا على الألسنة، وإنما لأنه بخلاف سواه يحمل دلالة توصيفية لا تمت إلى القيمة ـ ولاسيما الأخلاقية منها ـ بصلة التشويه مثلا، أو الخطأ أو الشناعة أو العصيان، تحمل شيئا من ذلك وتشير إليه، ومن ثم فهي لا تسعفنا في الدراسة ولا تلبي مطلبنا في حيادة المصطلح واستقراره [3].

---

[1] -يوسف أبو العدوس : الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، ص197 .

[2] أحمد ويس : الانزياح وتعدد المصطلح ، ص65 .

[3] نعيم الباقي : الانزياح والدلالة ، ص 28 .

وهذا يدعم القول بأن الانزياح مصطلح فني خاص بالأدب والنقد ولا يحمل في طياته أي التباس أو شبهة، عكس ما رأيناه في مصطلحي الانحراف والعدول، وإذا كنّا قد لاحظنا أن كلا من هذين المصطلحين (الانحراف والعدول) قد يحملان معان كثيرة ليست بنقدية ولا أدبية، فإن الانزياح يختلف عن ذلك بأن دلالته منحصرة تقريبا في معنى فني [1].

المبحث الثالث: الانزياح بين العرب والغرب :

يعدّ مصطلح الانزياح من المصطلحات الشائعة في الدراسة الأسلوبية المعاصرة ، وبوادره كانت حاضرة في الفكر الغربي من قبل انبثاق الدراسات الأسلوبية فلما جاءت هذه الدراسات زاد المفهوم رسوخا وعمقا، غير أن شيئا من مفهوم هذا الانزياح قديم يرتد في أصوله إلى أرسطو وإلى ما تلا أرسطو من بلاغة ونقد عند العرب والغرب، فظاهرة الانزياح ليست وليدة وخاصة بالنقد الحديث.

أ- عند العرب :

ليس يعدم من يروم التنقيب عن بذور أو ملامح أو صلات لفكرة الانزياح عند العرب القدماء أن يلتقط غير قليل من تلك البذور، يلتقطها في فترة لم تكن فيها بوادر الفكر النقدي واللغوي قد بانت بعد، ولعل أهم ما يمكن أن يذكر في هذا الشأن : أن العرب منذ نشأتهم قد أدركوا بذوق فطري أن للشعر لغة خاصة تختلف عن لغة الحديث ، لغة تشبه أن تكون من عالم آخر حتى خيل إليهم أن للشاعر رأيا من الجن يلقي الشعر إليه ومن الأكيد أن نظرهم إلى "شياطين الشعر" يعاضدها ما كان يدور بينهم عن وجود واد كثير الجن سموه وادي "عبقر " ونسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذاقته أو جودة صنعه فقالوا عبقري[2].

حيث نجد أن العرب منذ جاهليتهم كانوا يمتلكون حسا نقديا وكانت لهم آراء وانطباعات في مجال النقد وعلى الرغم من أنها لا تعدوا أن تكون ملاحظات وانطباعات اعتمدت على

[1] أحمد ويس :الانزياح وتعدد المصطلح ، ص 67 .

[2] المرجع نفسه ، ص 11-12 .

الذوق والسليقة لا على القوانين والنظريات ، فإنها تدل على تذوقهم للشعر أو اللغة الأدبية تختلف عن لغة النثر أو الخطاب العادي .

لنتقدّم في الزمن قليلا بهذه الملحوظات المبكرة حول هذه الظاهرة حيث " أن الجاحظ قد أشار في كتابه "البيان والتبيين" على مستويين من اللغة: المستوى العادي في الاستعمال، والمستوى الفني في الاستعمال الخاص، ويقترن المستوى الأول بطبقة العامة ، وغرضه إفهام الحاجة، أما المستوى الثاني فغرضه البيان البليغ، ويتميز هذا المستوى بمبدأ اختيار اللفظ وينفرد بالتجويد والتماس الألفاظ وتخيرها [1].

أما سيبويه فقد عدّ الانزياح نوعا من الاتساع والمجاز في الكلام وذلك لعدم تجسيده للدلالات بهيئتها الحقيقية، فالانزياح يبتعد بالمعنى عبر تركيب خاص إلى معنى سام ينزاح عن الدليل النظمي المعياري[2] .

وينكشف لنا اهتمام "سيبويه" بالانزياح اللغوي من خلال ثنايا التقديم والتأخير بين عنصري الفاعل والمفعول، أو بين عنصري المفعول والفعل، أو بين عنصرين مفعولين أو بين عنصري المبتدأ والخبر وغيره من الفصائل التركيبية، فيشير على الانزياح اللغوي بقين عنصري الفاعل والمفعول من خلال تحديد الدليل النظمي النواتي للتركيب الفعلي بتقديم ركن الفاعل على المفعول"[3].

حيث نجد الانزياح اللغوي متجسدا في الاعتداءات التركيبية التي تتم على القوالب الجاهزة والتي من بينها : التقديم والتأخير الحذف التكرار القلب ...وقد أقرّ عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه " دلائل الإعجاز" على ضرورة اتحاد اللفظ والمعنى ، كما فطن

[1] عبد السلام المسدي : المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال " البيان والتبيين للجاحظ " مقال حوليات الجامعة التونسية ، العدد 13 ، ص 158 .

[2] لخوش جار الله حسين : البحث الدلالي في كتاب سيبويه ، المكتبة الأردنية الهاشمية و دار دجلة ، ط1 ، 2007 ، ص297 .

[3] المرجع نفسه ، ص300 .

على حقيقة لغوية دلالية تتمثل في أنه بتغير المعنى يتغير اللفظ وهو ما يوازي ويقابل الانزياح اللغوي والدلالي بالاصطلاح الحديث .

ويستعمل عبد القاهر الجرجاني لفظا دقيقا للتعبير عن مفهوم الانزياح وهو لفظ " العدول " متوصلا على التمييز بن نوعين من المعاني حيث أن الكلام على ضربين اثنين : ضرب أنت تصل منه على الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقضي موضوعه في اللغة و ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها على الغرض " [1]، ففي هذا القول نجد تعريفا يعدُّ من أتم تعريفات "الانزياح" وهو معنى المعنى، وهو المعنى الخاص الفني الضمني الذي يحتاج على تأويل وابتكار وهو ما يناقض الفهم التقليدي للطبع والصنعة .

أما ابن رشد فيرى في هذا الصدد: أن القول الشعري هو القول المتغير، والمتغير عدول عن الحقيقةعلى المجاز بينما تتمثل إشارة القاضي إلى الانزياح من خلال ربط التوسع بالاستعارة، يقول: "فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام وعليها المعول في التوسع والتصرف ، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر ..." .

والتوسع ـ فيما يبدو ـ مظهر من مظاهر الانزياح وصورة من صوره، وعليه فالانحراف أو العدول أو التوسع عن المألوف له صور متعددة منها الالتفات والتقديم والتأخير والمجاز وغيرها[2] .

وقد اهتمت أيضا الدراسات الأسلوبية اللغوية واللسانية العربية الحديثة بظاهرة الانزياح باعتبارها قضية أساسية في تشكيل جماليات النصوص الأدبية فدرست تنظيرا وتطبيقا، ولم يهمل النقاد العرب الإشارة إلى الباحثين الأسلوبيين والشعريين الغربيين الذين قالوا بالانزياح ، كما أنهم لم ينقلوا آراء الدارسين الغربيين دون إضافة أو تأصيل للانزياح في النقد

[1] ينظر عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ،288.

[2] محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية ، ص 272 .

الأسلوبي العربي، وبالإضافة على هذا فإننا نلاحظ أن جميع الدراسات الأسلوبية العربية لم تخلُ من الإشارة إلى مفهوم الانزياح ودوره في الخطاب الأدبي[1] .

حيث يعرض عبد السلام المسدي مفهوم الانزياح في كتابه " الأسلوبية والأسلوب " وفيه يرى أن " جلّ التيارات التي تعتمد الخطاب أساسا تعريفيا للأسلوب تكاد تنصب في مقياس تنظيري هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينهما ويتمثّل في مفهوم الانزياح l'écart، ولئن استقام له أن يكون عنصراً قارا في التفكير الأسلوبي فلأنه يستمد دلالته ـ لا من الخطاب الصغر كالنص والرسالة ـ وإنما يستمد تصوره من علاقة هذا الخطاب الأصغر بالخطاب الأكبر وهو اللغة التي يسبك فيها ولذلك تعذر تصوره في ذاته إذ هو من المدلولات الثنائية المقتضية لنقائضها بالضرورة فكما لا نتصور (الكبير) إلاّ في طباق مع (الصغير) فكذلك لا نتصور انزياحا إلا عن شيء ما ،وهذا المسار الأصلي الذي يقع عن الخروج وإليه ينسب الانزياح هو في ذاته متصور نسبي تذبذب الفكر اللساني في تحديده وبلورة مصطلحه فكل يسميه من ركن منظور خاص وقد اصطلح عليه بالاستعمال النفعي للظاهرة اللسانية مع تسمية الشيء بوظيفته العملية وغايته الواعية.

ليكمل في حديثه عن الانزياح ويصل إلى إبراز قيمة هذا المفهوم فيقول:" ولعل قيمة مفهوم الانزياح في قظية تحديد الأسلوب اعتمادا على مادة الخطاب تكمن في أنه يرمز إلى قاربين : اللغة والإنسان، هو عاجز عن أن يلمّ بكل طرائقها ومجموع نواميسها وتعتبر إشكالية كمعطى "موضوعي ما ورائي في الوقت نفسه، بل انه عاجز أن "يحفظ" اللغة شموليا، وهي كذلك عاجزة أن تستجيب لكل حاجته في نقل ما يريد نقله وإبراز كل كوامنه من القوة إلى الفعل، وأزمات الحيوان الناطق مع أداة نطق أزلية صور ملامحها الشعراء والأدباء مذ كانوا" ، وليصل إلى اعتبار الانزياح احتيال على مستويين : احتيال الإنسان

[1] نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب ، 194ص .

على اللغة ، واحتيال الإنسان على نفسه وذلك حين قال " "وما الانزياح عندئذ سوى احتيال الإنسان على اللغة وعلى نفسه لسد قصوره وقصورها معا"[1] .

واعتبر محمد الهادي الطرابلسي الانزياح :"الجانب المتحول عن اللغة، والجانب المتحول عن اللغة عديد الأشكال فقد يكون تحولا عن قاعدة نحوية أو بنية صرفية أو وجهة معنوية أو في تركيب جملة كما قد يكون التحول عن بنية عامة في استعمال الظاهرة اللغوية في عصر من العصور أو يكون بشحنة دلالية خاصة أو بفقر خاص يلحق الظاهرة اللغوية في نوع من أنواع النصوص دون آخر ..."[2].

ويرى محمد العمري أن نظرية الانزياح باعتبارها إجراء لغويا تجد بعدا مهما في التراث البلاغي العربي في الحديث عن المجاز والعدول والتوسع، وليست نظرية الانزياح في صياغتها اللسانية المتقدمة إلا محاولة لتفسير ما عبر عنه منذ القديم بالغرابة والعجب كما هو في كلام " الجاحظ" الذي يقول:" لأن الشيء في غير معدنه أغرب وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم ...وكلما كان أطرف كان أعجب ".

"وما يحسب لمحمد العمري هو ربطه الدراسات الأسلوبية المعاصرة أو الحديثة ـ وعلى وجه الخصوص ظاهرة الانزياح ـ بالدراسة التراثية العربية فهو هنا بصدد التأصيل للظاهرة في النقد الأسلوبي مع مدِّ جسور التواصل بثقافة الآخر بالدراسات الغربية ، فهو يزاوج بين الأنا/التراث ، والآخر /الغرب، مع إضافات في مجال التطبيق والممارسة على النصوص العربية"[3].

وعلى نفس المنوال ذهب **نزار التجديتي** كمعظم أشياعه من اللغويين والنقاد المحدثين إلى التطرق لفكرة الانزياح من خلال الدراسات الأسلوبية واللسانية الغربية ، وعلى وجه الخصوص عند جون كوهين " فيما يتعلق بالانزياح خاصة ، وذلك في مقاله الموسوم بـ:"

---

[1] المرجع نفسه ، ص 97-98 .

[2] عبد السلام المسدي : النقد والحداثة ، دار الطليعة للطباعة والنشر –بيروت ،ط1 ،1983،ص11.

[3] هدية جبلي : ظاهرة الانزياح في سورة النمل،ص 43 .

نظرية الانزياح عند جون كوهين " ، حيث يسترسل في حديثه عن الانزياح عند كوهين ليصل إلى القول بوجود خاصية أو عنصر ثابت في لغة جميع الشعراء على الرغم من الاختلافات، أي وجود طريقة واحدة للانزياح بالقياس إلى المعيار وعلى هذا الأساس يقول : "يمكن تعريف الشعر بأنه نوع من اللغة وتعريف الشعرية باعتبارها أسلوبية النوع ، إنها تطرح وجود لغة شعرية ...تعتبرها واقعة أسلوبية لأن الشاعر لا يتحدث كما يتحدث الناس جميعا ، بل إن لغته شاذة وهذا الشذوذ هو الذي يكسبها أسلوبا "، فيجد الباحث يشخص الأسلوب بخط مستقيم يمثل طرفاه قطبين : القطب النثري الخالي من الانزياح ، والقطب الشعري الذي يصل فيه الانزياح إلى أقصى الحدود[1].

ومثلما هو الحال أيضا عند **عصام القبسي** الذي يرى أن الانزياح خروج عن قانون اللغة المعترف والمألوف ، شريطة أن يكون هذا الخروج ذو سمة جمالية في الانزياح وهو يربط فكرة الانزياح بالشعر ويعده هو الانزياح ذاته ، ويظهر لنا هنا مدى تأثره بنظرية جون كوهن ويعتبر كتابه " بنية اللغة الشعرية " أهم ما كتب في النظرية الشعرية حيث قام بانجاز الخطوة التي عجزت البلاغة القديمة على انجازها ، وهي أن الإشكال والصور البلاغية من استعارة ، وقافية ،وتقديم وتأخير ،تلتقي جميعها في اللحظة الأولى عند خرق قانون اللغة وهو ما يسمى "بالانزياح"[2].

ب- عند الغرب :

الانزياح مصطلح أسلوبي حديث النشأة ،ظهر في أواخر القرن التاسع عشر ، فهو من المصطلحات الشائعة في الدراسة الأسلوبية المعاصرة، وربما كان جون كوهين(jean cohen) أول من خصَّ هذا المصطلح بحديث مستفيض في مجال حديثه عن لغة الشعر ،

[1] المرجع السابق ، ص 44.

[2] المرجع نفسه ،ص45 .

كإحدى المحاولات النظرية الجادة في حقل الدراسات البلاغية والشعرية[1] . غير أن جذور الانزياح كانت حاضرة في الفكر الغربي من قبل انبثاق الدراسات الأسلوبية ، أي ممتدة من القدم .

حيث أننا نجد " الأدب اليوناني قد عرف التفرقة بين الأجناس الشعرية والأجناس الأدبية منذ القرن السادس قبل الميلاد ، تحت كل فرع من هذين الفرعين تتفرع أقسام كثيرة مثل : الشعر الغنائي والشعر الملحمي والمأساة والملهاة والخطابة القضائية والخطابة السياسية ... وتظل هذه الأجناس تتفرع وتضيق حسب الظروف التاريخية والثقافية "[2]،فنجد اهتمامهم ببلاغة الكلام وكيفية الإقناع فالكلمة لها من القوة ما يجعلها تقوم بأدوار عديدة إذا أحسن اختيارها من بين الاختيارات العديدة الممكنة .

ولقد أعطى أرسطو الشعر مفهوما يليق به واللغة بصفة عامة ،مما جعله يؤكد أن اللغة ما هي إلا مزيج من الألفاظ ، ولكي نتجنب فيها الابتذال والسقوط لابد من استعمال الكلمات الغريبة والمجارات والمحسنات [3]، مفرقا بين مستويين للغة : اللغة العادية المألوفة واللغة الغير مألوفة أي اللغة الأدبية مقراً : "أن لغة الشعر هي غير لغة التخاطب "[4]، فلغة التخاطب هي اللغة العادية المبتذلة بينما الشعر لغته تخالف تلك اللغة تماما، للشاعر حينئذ الحق في أن يستعمل لغة خاصة بعيدة عن اللغة الشائعة تحدث عن المعيار، وبالتالي فقد لامس شيئا من الانزياح حينما أقر بأن العبارة غير المبتذلة هي التي تتراوح وتبتعد عن استعمال الألفاظ المألوفة العادية .

وبالبحث عن الانزياح في البلاغة الكلاسيكية الغربية نجد أنها تستثني الانزياح وتعتبر الكلام العادي المتواضع عليه قاعدة للكتابة ، فالكلاسيكية بقواعدها الثابتة " آمنت بالعقل

---

[1] بوخاتم مولاي علي : مصطلحات النقد العربي السيماوي ، الإشكالية و الأصول والامتداد ، اتحاد العرب الكتاب ،دمشق ،2002 ،ص180.

[2] احمد درويش : النص البلاغي في التراث العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،ص34.

[3] ينظر : أرسطو طاليس :فن الشعر –ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ،بيروت لبنان ،ص61.

[4] المرجع نفسه:ص61 .

باعتباره ترابطا منطقيا ، لهذا لم تجرؤ الكلاسيكية على خرق المنطق ولم تفكر في أن تصدم القارئ بالغريب من التعابير والمجازات "[1].

حيث يتضح أن البلاغيين الغربيين اعتبروا كل حذف أو زيادة إنما هو غير منطقي وبالتالي فهو انزياح عن اللامنطقية، ومن ثمة وقعوا حبيسي المعيارية ورهينة للمنطق وعجزوا عن مسايرة عبقرية اللغة [2]، فنجد أن البلاغة الكلاسيكية قد ميزت بين المعنى الحقيقي المنبعث من اللفظ المعتاد والضروري والإجباري، وبين المعنى المجازي الذي تحققه الصور التي تبتعد عن الطريقة العادية والمشتركة للكلام، فهي هنا عبارة عن مستوى عادي يبتعد باستمرار عن الكلام البسيط .

وهذا ما انتقده **الأب ديبو** في كتابه " تأملات حول الشعر والتصوير " أي تلك القواعد التي تؤدي حسبه على فن جامد ومتشابه، فإن كان الفن يتلاءم والعبقرية، فإن العبقرية لا تكتسب بأي قدر من الدراسة أو الاجتهاد ..."[3] فالعبقرية عنده تتنافى والقواعد الثابتة والنمطية الثابتة التي أشاعها المذهب الكلاسيكي .

أما عند رواد " الحركة الرمزية " فقد" أصبح الخروج عن الاستعمال المتعارف عليه سمة كتاباتهم الشعرية ،وأصبح الانزياح ضروريا لتمييز الشاعر من اللاشاعر، وتجلى هذا الانزياح عن اللامألوف من التعابير والصيغ في كل مجالات النص الإيقاعية منها أو النحوية والنظمية، والدلالية، وتوصل الشعراء إلى توسع دلالات الألفاظ بطرق شتّى"[4] .

---

[1] عبد الله راجع :القصيدة المغربية المعاصرة بنية الشهادة والاستشهاد ، ج1 و دار قرطبة–المغرب، ط1، 1987 ، ص23.

[2] ينظر :جمال حضري : ظاهرة الانزياح في شعر جمال عبد الصبور،رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر ،1999ـ 2000 ،ص 16 .

[3] شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ، المجلس الوطني للثقافة والفنون –الكويت ،ص168 .

[4] عبد الله راجع : القصيدة المغربية ،ص23 .

ومنذ أواخر القرن هذا القرن عرف الدرس البلاغي قفزة نوعية وكمية بفضل بعض المناهج الحديثة كالبنيوية والشعرية اللسانية والأسلوبية، وقد كان رولان بارت من النقاد الأوائل الذين تفطنوا إلى ضرورة بعث البلاغة من جديد وكذا دراساتهم في ضوء مفاهيم حديثة ومناهج جديدة إذ يرى هذا الأخير أن الأسلوب يحدد بالقياس على درجة الصفر من الكتابة ،حيث اعتبر النص " قوة متحولة تجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها، لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم"[1] .

ويمكن القول أن ظاهرة الانزياح هي الواسطة التي شدّت البلاغة الكلاسيكية الى النظريات الحديثة والمعاصرة ولعلها من أهم في بعثها الحالي من خلال البلاغة الجديدة ونظريات علم النص .

حيث استغل **رومان جاكبسون ROMAN JAKOBSON** معطى لسانيا قارا يتمثل في أن الحدث اللساني هو تركيب عمليتين متواليتين في الزمن ومتطابقتين في الوظيفة، وهما اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ثم تركيبه لها تركيبا تقتضي بعضه قوانين النحو وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرف في الاستعمال، فإذا بالأسلوب يتحدد بأنه توافق بين العمليتين، أي تطابق لجدول الاختيار على جدول التوزيع[2] ـ وهنا يحدث الانزياح ـ ، فهو بهذا يذهب كدأب أشياعه من أعلام المدرسة الشكلانية الروسية التي كانت أول من نبه على أن النص منظومة تحدد وظيفة الأدوات الأدبية وموضوع الأدب على أيديهم هو الأدبية " التي لا تتحقق إلا باكتشاف الإنزياحات التي يوفرها التوظيف المختلف للغة والانزياح هو الركيزة الأساسية في تحليل النصوص لكون الشفرة الأدبية أو غيرها من أنواع الشفرات التي هي ضرب من التفاعل بين العلامة ذات القانون المحدد والنظام الاجتماعي الذي يخضع لشتى أنواع الثقافات والنظم التي تتحكم في تغيير

[1] ينظر : رولان بارت ، الكتابة من درجة الصفر ، تج محمد نديم خشيفة ،مركز الانماء الحضاري ،ط1،2002 ،ص100-101 .

[2] صلاح فضل : بلاغة الخطاب والنص ، ص 231 .

مدلول الشفرات[1]. وبهذا فالانزياح هو الوسيلة التعبيرية الخاصة بالنصوص وبأساليبها إذ يعدل المبدع عن التعبير المباشر إلى أسلوب يجعلك تشعر بحلاوة النص ومتعة الإيقاع وتحقيق اللذة والتأثر بالنص .

واعتمد **ليو سبيتزر** الذي كان من الأوائل الذين عمقوا فكرة الانزياح بعدما طرحها بالي على ظاهر الانزياح ـأو الانحراف ـ بشكل كبير إذ يقول :" انه اعتاد في قراءته للرواية الفرنسية الحديثة مثلا أن يضع خطوطا تحت العبارات التي تلقت نظره لابتعادها عن الاستعمال المألوف ...مما يجعله يتساءل عن إمكانية وضع تسمية عامة لمختلف عامة لمعظم هذه الانحرافات، ومحاولة الوصول هكذا إلى الأصل الروحي والجذر النفسي المشترك لخواص الأسلوب عند مؤلف معين "[2].

وقد ذهب الكثير من الباحثين على أن سبيتزر هو الذي جاء إلى الأسلوبية بمصطلح الانحراف ، وإجمالا فإن أول مسلك سلكه في دراسته للانزياح هو القياس على المستوى الشائع ثم تقديره واعتباره سمة معبرة ، ثم الملاءمة بينه وبين روح الأثر الأدبي وطابعه العام ، ومن ثمة ينتهي إلى استنباط الخصائص الفردية للعبقرية المبدعة، ومنها إلى تحديد نزعة عامة من نزعات العصر، فقد ربط سبيتزر بين نفسية الكاتب وعمله الأدبي وذلك من خلال استقراء السمات الخاصة للكاتب من انزياحاته الواردة في عمله، وما هذه السمات الخاصة إلا سمات فردية تتمثل في اللغة والدلالة الخارقة تبتعد كل البعد عن اللغة السائدة والاستعمال الشائع، لكنها لا تلبث أن تذوب في غمرة تلك الذخيرة من الألفاظ والدلالات التي يتصرف بها الناس عامة[3] .

ويعدُّ **جون كوهن** حسب الباحثين واللغويين الأقرب إلى مفهوم الانزياح، إذ أفرد الموضوع بكتاب سماه " بنية اللغة الشعرية" فقد رأى أن الانزياح هو " وحده الذي يزود

---

[1] يوسف نور عوض: نظرية النقد الأدبي الحديث ،ص 151 .

[2] مليكة النوي :مقارنة بين الأسلوبية ونظرية النظم –رسالة دكتوراه –جامعة باتنة ،2008 –2009، ص 66 .

[3] صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته،مؤسسة مختار للنشر والتوزيع،1992،ص58 .

الشعرية بموضوعها الحقيقي ، والمقصود بالشعرية تلك الأعمال الأدبية التي ترقى عن النصوص العادية سواء من حيث التراكيب أومن حيث الدلالات، ومن ثمة فقد عمل على تشخيص اللغة الشعرية باعتبارها انحرافا عن الكلام[1].

وهو ما يعكس مفهوم الانزياح اللغوي لأن لغة الأعمال والنصوص الأدبية عنده هي انزياح عن معيار قانون اللغة ، وكل صورة إنما هي خرق لقاعدة من قواعد اللغة أو مبدأ من مبادئها، يقول جون كوهن :"إن مفهوم الانزياح مفهوم معقد ومتغير لا نستطيع استعماله دون احتياط، ولهذا كنا دائما نعمل بدءا من أجل إقامة المعيار على علاقة ايجابية و فنطلب من اللغة التي يتكبدها العلماء أن تكون مرجعا لنا "[2].

كما أنه يولي اهتماما كبيرا للغة الشعرية ـ الشعر والشاعرـ وجعلها المستوى الثاني (المنحرف) فكما كان الانزياح دالا بالقصد برزت شعرية الخطاب والشاعر بقوله لا بتفكيره وإحساسه انه خالق الكلمات وليس خالق أفكار، وترجع عبقريته كلها إلى الإبداع اللغوي[3] .

وتناول **بارت** الانزياح كمفهوم وذلك من خلال مفهومه للنص " فالنص عنده قوة متحولة تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها، لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد المفهوم والمعقول " فالنص هو تلك البنية المتحولة التي تتجاوز حدود المعقول وحدود المادة، كما وقد عرّف بارت النص بقوله " النص كإيحاء ..."ولبارت تعريف للإيحاء يعد مرادفا لتعريف الانزياح الدلالي إذ يقول " أن الإيحاء هو معان ليست في المعجم ولا في نحو اللغة المكتوب بها النص، ويقر أيضا بلزوم الانزياح اللغوي، فالشكل حسبه لا يلغي المعنى بل يبعده ويجعله رهن إشارته[4].

---

[1] أحمد محمد ويس : الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، ص89.

[2] المرجع نفسه ،ص105 .

[3] خان محمد : بنية الخطاب الشعري الإيقاع والمعنى ،ص175 .

[4] زروالي زهرة :مصطلح الانزياح بين البلاغة والأسلوبية دراسة مقارنة–رسالة ماستر–جامعة تلمسان ،2013،2014،ص22 .

المبحث الرابع : أنواع الانزياح :

لما كان القارئ يتعامل في أول شأنه مع النصوص فإن هدفه في المقام الأول هو قراءة النص من أجل إحيائه ووضعه في إطار بلاغي وبذلك تبيين نوع الخطاب ثم الجنس وأخيرا نوع الأسلوب الذي يقوم عليه النص والانتقال بين هذه الأمور يكون في إطار خطة عملية وعلمية وهي ما نسميه الانزياح[1]. فالانزياح لا يمس التعابير والتراكيب فقط وإنما يتعدى هذا إلى الصور والأفكار والمعاني والألفاظ ، وحتى على مستوى الحروف، فهو لا ينحصر في جزء أو اثنين من أجزاء النص بل يشمل أجزاء كثيفة متعددة .

ومن هذا صح لنا القول أن الإنزياحات تنقسم إلى قسمين أساسيين فيهما كل أشكال الانزياح « فأما النوع الأول فهو ما يكون الانزياح فيه متعلقا بجوهر المادة اللغوية وما يسمى "**الانزياح الاستبدالي**"، وأما النوع الآخر فهو يتعلق بتركيب هذه مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه ، سياقا قد يطول أو يقصر وهذا ما سمي "**الانزياح التركيبي** "»[2].

أ- الانزياح الاستبدالي :

يمكننا القول أننا بالحديث عن المستوى الاستبدالي أو الدلالي، فإننا نقصد الصور البيانية والاستعارة بشكل خاص التي تمثل هذا النوع من الانزياح، فهي جوهر البناء الأدبي الشعري، وهي بهذا تمثل دورا مهما في بناء المفارقة والانزياح عموما لتشكيل صورته عند الشاعر، إذ يعتمد هذا الأخير إلى استخدامها فهي " مجال التعبيرات المجازية التصويرية من تشبيه واستعارة وغيرها "[3].

فالانزياح الاستبدالي هو الانزياح الذي يقع في جوهر الكلمة دون النظر إلى الموضوعية في الاستعارة و الكناية ،المجاز المرسل والتشبيه، وهو يدرس ميزان التباين الموجود بين المشبه والمشبه به الذي يؤدي إلى خرق المألوف وظهور المفاجأة، ما يعطي النص قدرا

[1] عدنان بن رذيل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، ص18 .

[2] أحمد محمد ويس : الانزياح من منظور الدراسة الأسلوبية ،ص 111 .

[3] صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد العربي ، دار الشروق القاهرة ،1998، ص 119 .

كبيرا من الروعة والانجذاب ،فكلما ابتعد طرفا التشبيه والتقيا في نقطة غريبة لا يعهدها الذهن ، كلما يظهر نصيب كبير من الانزياح ارتقاءا في مستوى النص الدلالي ويروح ويعلو شيئا فشيئا على درجة الصفر النصية ، فخريطة الانزياح الاستبدالي ترسم هكذا[1] :

	الانزياح الاستبدالي	
الأركان	معيار الإنزياحية	
المشبه . المشبه به . وجه الشبه	التشبيه	1 . عدم العلاقة أو الابتعاد بين المشبه والمشبه به في اللغة المعيارية والدلالة المعهودة 2 . كلما كثر حذف الأركان ، كثرت انزياحية النص . 3 . اغتراب وجه الشبه .
مشبه مشبه به	الاستعارة	1 . اغتراب وجه الشبه . 2 . ابتعاد المشبه والمشبه به من حيث الزمكانية أو من حيث العلاقة المادية والمعنوية للإبداع والمفاجأة .
العلاقة	المجاز المرسل	اختفاء القرينة والعلاقة ، وغرابة التوحيد بين الغرابة والمجاز خلافا لمقتضى الظاهر.

ونظرا لأهمية الاستعارة فقد غطت الاهتمام بالتشبيه الذي عد من الاستعارات المكشوفة المباشرة ، وعلى هذا الأساس فقد عدت الاستعارة ما يمثل خلاصة النوع الأول من الانزياح

[1] افرين زارع : الإعجاز البياني للقران الكريم من خلال أسلوبية الانزياح ،مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابهاالعدد 5، 2011 ،ص41 .

الذي يتعلق بجوهر الوحدة اللغوية أو بدلالتها فالاستعارة لا تنتج من مجرد المقارنة بين شيئين بينهما تشابه وحسب، وإنما هناك تباين واختلاف وهذا التباين والاختلاف هو الذي ـ غالبا ـ يمنح الاستعارة تأثيرها المتميز، فهي بذلك تعدّ أبلغ درجات الصور التشبيهية و يقول السكّاكي في سياق حديثه عن الاستعارة :" الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشتبه في جنس المشتبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به "[1].

وكما تناولت الدراسات الغربية الانزياح بصورة عادية ، فقد تناولت أنواعه بصورة خاصة وبالأخص عند جون كوهن من خلال كتابه " بنية اللغة الشعرية " وما هذا النوع الأول الذي نحن بصدد دراسته ، والذي يكون فيه الانزياح متعلقا بجوهر المادة اللغوية مما سماه بالانزياح الاستبدالي فالواقعة الشعرية حسبه هي" خرق لقانون اللغة ،أي انزياحا لغويا يمكن أن ندعوه كما تدعوه البلاغة "صورة بلاغية" ، وهو وحده الشعرية بموضوعها الحقيقي "، ولئن لم يصرح "جون كوهن" هاهنا بالاستعارة تصريحا واضحا فإنه في وضع آخر يعزو لها كل فضل للشعر و فنجده يقول :"إن المنبع الأساسي لكل شعر هو مجاز المجازات ؛هو الاستعارة " ،وهي عنده "غاية الصورة " فالاستعارة عند جون كوهن تعدُّ أبلغ وأعقد الصور الأخرى ، فهي تمثل المقام الأول والأساس إلى درجة أنه عدّها هي تزود الشعرية بموضوعها الحقيقي ،بل وأكثر من ذلك هي المنبع الأساس[2] .

وهكذا تشكل اللغة من وجهة نظر النقد الحديث منطلقا رئيسيا في دراسة الخطابات وتصنيفها، لأن الخطابات تتمايز فيما بينها بطريقة استخدامها للغة ،فكلما التزم الخطاب بالقوانين المعيارية التي ينتمي إليها محتفظا بالدلالة المعجمية المتواضع عليها للألفاظ مبتعدا عن التحريف والتشويه في قوانين اللغة ،زادت صلته بالنثر العلمي الذي يتسم بالمباشرة والتقريرية في الأسلوب ،فهو ينتمي إلى ما أسماه رولان بارت بالدرجة الصفر للكتابة[3] .

---

[1] السكاكي : مفتاح العلوم ،ص 477 .

[2] صونيا لوصيف ،سارة كرميش: الانزياح الدلالي في الألفاظ العربية معجم العين ،مذكرة ماستر،ماي 2011 ،ص59-60.

[3] مختار بن قويدر:الانزياح من منظور شجاعة العربية ،الأثر مجلة الآداب واللغة ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة ـ،العدد9 ،ماي 2010 ، ص 272 .

وإذا عمد الخطاب إلى تحطيم اللغة العادية مقيما على أنقاضها قوانينه وأنظمته الخاصة فهو حتما ينتسب إلى الخطاب الأدبي ولاسيما الشعري منه الذي يمثل الشكل الأقوى للأدب والدرجة القصوى للأسلوب[1] .

ب- **الانزياح التركيبي :**

إذا كان النوع السابق ذكره من أنواع الانزياح ـ الانزياح الاستبدالي ـ يمثل " الانزياح الدلالي" لكونه يشمل مختلف صور البيان من مجاز واستعارة وتشبيه... فإن الانزياح التركيبي يمثل "الانزياح اللغوي" بمختلف التراكيب الأسلوبية واللغوية ،يقول صلاح فضل :"الانحرافات التركيبية تتصل بالسلسلة السياقية الخطية للإشارات اللغوية ،عندما تخرج عن قواعد النظم والتركيب"[2].

فهذا النوع من الانزياح يقع في الروابط الموجودة بين المدلولات في تركيب واحد أو بمجموعة من التراكيب ،فكل تركيب خرج عن القواعد النحوية المعتادة وأصول الجملة المعهودة فهو "انزياح تركيبي" [3]،يقول البار عبد القاهر في تعريفه للانزياح التركيبي هو أن :"تخضع العناصر اللسانية في الخطاب المنطوق أو المكتوب لسلطة الطبيعة الخطية للغة ، التي تسير وفقها القوانين وتعتمد الإجراء التأليفي بين العناصر المتتالية، هذا التعاقب أو التوالي عليه محور التركيب إذ الخروج عنه يسمى انزياحا تركيبيا "[4]، فالتركيب عنصر مهم في بحث الخصائص الأسلوبية كدراسة الجملة وعناصرها مثل المبتدأ والخبر،الفعل والفاعل ، الصفة والموصوف ،وهذا من خلال التقديم والتأخير،التذكير والتأنيث وبحث البنية العميقة باستخدام النحو لمعرفة التحويلات والصياغات الجديدة التي تولدها لأنها من الأسس التي تكوّن الأسلوب .

[1] المرجع السابق،ص272 .

[2] صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ،ص 211 .

[3] محمد ويس :الانزياح من منظور الدراسة الأسلوبية ،ص 120 .

[4] عبد القادر البار : الانزياح في محوري التركيب والاستبدال مجلة الآداب واللغات قاصدي مرباح عدد9 ،ص29 .

ولعلاقة هذا الانزياح بعلم النحو أعطاه كوهن اسما آخر وهو "الانزياح النحوي " إلا أنه لا يعد انزياحا إلا إثر الفجائية التي تخلق قيمة جمالية ودون هذه الميزة لم يكن يوجد انزياح مهما تغيرت التراكيب وكسرت نطاق النحو وقواعده[1] .

تبيين الدلالات فيها مواقع الكلام ، وبذلك تكون مرونة التركيب في اللغات التي تملك الدلالة وإن اختلفت مواقع أجزاء الجملة تقديما أو تأخيرا يعني الاختلاف، وهو ما يتيح أمام المبدع أن يمتلك قدرة التحكم في اللغة، غير أن هناك اختلاف بين مثل لغتنا التي تعتمد الإعراب الذي يسهم إلى حد بعيد في تبيين الدلالات فيها وبين الانجليزية وما شابهها من لغات لا إعراب فيها ، ومن ثم يكون الفيصل في إعرابا أكبر من التي لا تحوي إعرابا و ومن شأن هذا الأخير أن يسهم في تبيين في العربية وغيرها متسعا لكثير من أنواع التصرف دون أن يخشى المساس أو الإخلال بالدلالة بل هو ذلك التصرف الذي يعين على نقل أفضل للدلالة والمعنى، وما هذا الغنى في التراكيب إلا ميزة تجعل المبدع أكثر وفاءا لأداء معانيه عبر تراكيب وعبر ما تمنحه له بأدائه[2] .

ومنه فهناك قسمان من التراكيب: الأول، تركيب الأصوات أو الحروق ولا يمكن التصرف فيه ،والثاني : تركيب مجموع الجمل بعضها مع بعض ،وذلك يشكل بنية النص الكلية على مستويين:

مستوى تركيب الكلمات في الجملة ومستوى تركيب الكلمات على حد ذاتها ،فكل ما يكون أن الانزياح التركيبي يتعلق بكل ما خالف وقعه في النص حسب النظام اللغوي النحوي

وهو يتمثل في : ⟵ التقديم والتأخير

⟵ الحذف والإضافة

⟵ الانتقال من أسلوب إلى آخر

⟵ الالتفات

⟵ خلخلة العلاقة بين المسند والمسند إليه

فالانزياح التركيبي يختص بالتراكيب النصية بكاملها أو قسم منها[3] .

---

[1] ينظر :أفرين زارع : الإعجاز البياني للقرآن من خلال أسلوبية الانزياح،ص 50 .

[2] صونيا لوصيف ، سارة كرميش: الانزياح الدلالي في الألفاظ العربية ،ص62 .

[3] أفرين زارع :الاعجاز البياني للقرآن الكريم من خلال أسلوبية الانزياح : ص 50-51 .

وهناك من أدرج مصطلحين ضمن الإنزياحات التركيبية وهما الحذف والإضافة إذ يلاحظ في الشعر حذف أشياء لا ترى محذوفة في الكلام العادي ، وذكر أشياء لا ترى في الكلام العادي ،وذلك لا ينسحب على كل حذف أو إضافة ـ لأن ثمة في الكلام العادي أيضا حذف وإضافة ـ وعلى ذلك لا يعدُّ هذان انزياحا إلا إذا حقق الحذف والإضافة غرابة أومفاجأة ،وإلا إذا حملا قيمة جمالية ما[1] .

ومن هذا فإن الإنزياحات التركيبية تتصل بالسلسلة السياقية للإشارات اللغوية عندما تخرج عن قواعد النظم والتركيب مثل الاختلاف في تركيب الكلمات، أما الإنزياحات الاستبدالية فتخرج عن قواعد الاختيار للرموز اللغوية مثل وضع المفرد مكان الجمع ، أو الصفة مكان الموصوف، أو اللفظ الغريب بدل اللفظ المألوف " غير أن هذين الشكلين للانزياح لا يمكن قبولهما دون اعتراض لأن الانزياح يمكن أن يكون مفهوما واسعا بحيث يمكن القول بأن اللغة الشعرية هي الانزياح عن اللغة العادية أو عن لغة النثر، وبالمثل فإن مفهوم الانزياح يمكن أن يكون ضيقا مقصرا على المجازات الإجراءات وبعض الأسلوبية المتعلقة بالبلاغة، من مثل الاستعارة والتقديم والتأخير والحذف وغيرها، ولكن هل كل النصوص الأدبية استعارات أو تقديم أو تأخير وحذفا !!، هذه الإجراءات والظواهر الأسلوبية تكون بصورة أو بأخرى في النصوص الأدبية، لكن ليس كل النص الأدبي استعارة أو تقديما أو تأخيرا أو حذفا وغير هذا من الإجراءات الأسلوبية ، لهذا فإن مواجهة الإنزياحات في نص من النصوص تعني التركيز على عناصر دون العناصر الأخرى[2].

القرآن وظاهرة الانزياح :

وصف الله سبحانه وتعالى كتابه في قوله :{إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون }[3] ، فالقرآن قد جاء عربيا في مفرداته وتراكيبه وعباراته وأساليبه ، فلم يخرج عن المعهود في لغة العرب ، لكنه أعجزهم بأسلوبه وأفحمهم بحجته ، وسحرهم ببلاغته ،خاصة أنه تحدى البشر في أن يأتوا بمثله ،قوله تعالى:{أم يقولون افتراه قل فآتوا بسورة مثله وادعوا من

[1] مختار بن قويدر: الانزياح من منظور شجاعة العربية ، ص 272

[2] ينظر :ربابعة موسى : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ،دار الكندي للنشر والتوزيع إربد ،ط1 ،2003، ص36-37 .

[3] سورة يوسف : الآية 235.

استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين}[1]،وقد التقى حوله العرب والعجم خضوعا وانقيادا، وقدّسوه إعظاما وإجلالا ،وأعملوا عقولهم في تأسيس علومهم ، وسخروا فهمهم لتصنيفها وتبويبها ، وتسابق العلماء في استنباط وجوه الإعجاز القرآني وأسرار البيان الرباني، فالقرآن قد جاء حاملا لأبعاد دينية عقائدية وهذا وفي الوقت نفسه حاملا قيمة جمالية لغوية .

فاتحد هذان المستويان ـ الديني والعقائدي ـ لتحقيق إعجاز النص القرآني فأنتج كتابه كتابة جديدة لم يكن للعرب عهد بها على الرغم من أنها تنتمي إلى لغة اعتقدوا أنهم وصلوا فيها إلى القمة والرفعة والعلو، فلئن جاء القرآن بلغة عربية مبينة فإنه لم يأتي بها موافقة تمام الموافقة لما عليه العرب ، بل كانت له طريقة جديدة في استعمال اللغة استعمالا يخرج بها كثيرا عما عليه هي عندهم، فهي كما يقول مالك بن نبي"طريقة فجائية غريبة"[2] وعن هذا الحديث يقول :"لقد كان حتما على القرآن ـ إذا ما أراد أن يدخل في اللغة العربية فكرته الدينية ومفاهيمه التوحيدية ـ أن يتجاوز الحدود التقليدية للأدب الجاهلي ، والحق أنه قد أحدث انقلابا في الأدب العربي بتغييره الأداة الفنية في التعبير: فهو من ناحية قد جعل الجملة المنظمة في موضع البيت الموزون ، وجاء من ناحية أخرى بفكرة جديدة أدخل بها مفاهيم وموضوعات جديدة لكي يصل العقلية الجاهلية بتيار التوحيد[3] .

فالجديد في نظم القرآن "أنه في كل شأن من شؤون القول يتخير له أشرف المواد وأمسها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد ،وأقبلها للامتزاج ،ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به ، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة ، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين، لا يوما ولا بعض يوم بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور فلا المكان يريد ساكنه بدلا ، ولا الساكن يبلغ عن منزله حولا ، ولا الجملة تجيء من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان [4].

---

[1] سورة يونس : الآية 38 .

[2]. مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية : تج عبد الصبور شاهين ،تقديم محمد عبد الله دراز ومحمودشاكر ،دار الفكر –دمشق ،ط4 ،1987، ص191

[3] عبد الحكيم راضي : نظرية اللغة في النقد العربي ،ص 117–118 .

[4] محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ،1957 وص81–82 .

فالقرآن هو كلام الله المعجز والمعجز ما جاوز قدرة البشر و ومن شأن وقوعه أن يثير الدهشة والمفاجأة ،لأنه انزياح عن المألوف وانزياح عن الممكن البشري فانزياح النص القرآني وخروجه عن المألوف من كلام العرب هو المقياس المشترك بين كل من تحدثوا عن نظم القرآن وإعجازه ، كالروماني (386هـ) والخطابي (ت388) و الباقلاني(ت403هـ) والجرجاني (ت471هـ) ،يقول الباقلاني :" بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة على الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه إن نظم القرآن على تصرف وجوهه ،وتباين مذاهبه ،خارج عن المعهود، من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وهذه الخصوصية ترجع إلى جملة القرآن "[1]،فهو يرى أن إعجاز القرآن يكمن في النظم الخارج عن المألوف فخصوصيته لا تكمن في مجرد توظيف الاستعارة والكناية والتشبيه وحسب، بما أنها تشكل انزياحا في حد ذاته، وإنما أيضا في الطريقة الفذة التي وظفت بها في النص القرآني وترتيبها في موضعها المناسب مع الامتياز في إيصال المعنى.

[1] أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن ،تحقيق السيد أحمد صقر ،دار المعارف –القاهرة ،ط5 ,ص112.

الفصل الثاني

الانزياح على المستويين الصوتي والصرفي

المبحث الأول: المستوى الصوتي :

يعد المستوى الصوتي الخطوة الأولى للدارس اللساني،لأن الصوت أصغر وحدة في اللغة[1] فهي المحور الأساسي للدخول في النص الأدبي حيث أننا نجد في المادة الصوتية " إمكانية تعبيرية هائلة، فالأصوات وتوافقها وألعاب النغم والإيقاع والكثافة والاستمرار والتكرار والفواصل الصامتة، كل هذا يتضمن بمادته طاقة تعبيرية فذة » [2]، ونحن لا نستطيع دراسة الصرف دراسة صحيحة إلا بالاعتماد على الوصف الصوتي، ويكفينا أننا نلاحظ أثر العواطف على نفسية المستمع ومدى تأثره بها حتى ندرك أهمية ما في الشعر مثلا من موسيقى ونغم وما يولده هذا في نفوسنا من تأثير وانفعال "فإذا سيطر النغم الشعري على السامع وجدنا له انفعالا في صورة الحزن حينا، والبهجة حينا آخر والحماس أحيانا، وصحب هذا الانفعال النفسي هزات جسمانية معبرة ومنتظمة " [3].

أ- **التشكيل الصوتي :**

التشكيل الصوتي مجال رحب لكشف جماليات المكون الصوتي المتمثل بكل ماله علاقة بالمقطع والنبر والارتكاز، والتركيب، وتفاعل الدلالات، ونشاط السياق، وفاعلية التشكيل الصوتي في قدرته على خلق إيقاعات متنوعة، وربط المعنى بالتأثير الصوتي .

وفي تحليلنا للمقاطع الصوتية التي تتكون منها كلمات السورة، اخترت مجموعة من النماذج للتطبيق من أول السورة ووسطها وكذلك في نهاية الصورة، مع بيان نوعية المقاطع الصوتية وعددها في كل آية وعلاقة هذا مع جو النص وجاءت كما يلي :

الآية (1): كاف ها يا عين صاد

ص ح ح ص/ ص ح ح / ص ح ح / ص ح ص ح /ص ح حص

ـ عدد المقاطع الطويلة (03)

---

[1] محمد خان: اللهجات العربية والقراءات القرآنية ،دراسة في البحر المحيط ،دار الفجر للنشر والتوزيع ،2002 ص65.

[2] صلاح فضل :علم الأسلوب مبادئه واجراءاته ، ص25 .

[3] أنيس ابراهيم : موسيقى الشعر ، دار القلم بيروت،ط1 ، 1972 ،ص19 .

ـ عدد المقاطع المتوسطة(2)من النوع المفتوح

الآية (2) ذِك ر رح م ة رب ك عب

ص ح ص/ص ح /ص ح ص/ص ح /ص ح /ص ح ص /ص ح / ص ح ص

د هو ز ك ري يا

ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ص / ص ح ح

الآية (03) إذ نا دى رب هو ن دا

ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح / ص ح ص/ص ح ح /ص ح /ص ح ح

أن خ في يا

صحص / ص ح / ص ح ص / ص ح ح

من هذه الآيات الثلاث الأولى جاءت المقاطع الصوتية كما يلي :

في الآية (1):ـ عدد المقاطع المتوسطة المفتوحة(02)

ـ عدد المقاطع الطويلة (03)

في الآية (2) :ـ عدد المقاطع القصيرة (8)

ـ عدد المقاطع المتوسطة المغلوقة (7)

ـ عدد المقاطع المتوسطة المفتوحة(2)

في الآية (3) : ـ عدد المقاطع القصيرة ( )

ـ عدد المقاطع المتوسطة المغلقة ( ) والمفتوحة ( )

والملاحظ هو وجود المقاطع القصيرة أكثر من المتوسطة ، حيث نلاحظ أن انزياحية المقاطع القصيرة تكمن فيما تفعله من حركة ودوران داخل الآية ،وجعلها أكثر تقسيما وتفصيلا . **ثانيا** : آيات من وسط السورة

الآية (16) وذ كر فل ك تا ب مر ي

ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح /ص ح /ص ح ص/ ص ح

م إ ذن ت ب ذت من أه ل

ص ح/ص ح /ص ح ص/ ص ح/ ص ح / ص ح ص / ص ح ص/ ص ح ص/ صح

ها م كا نن شر قي يا

ص ح ح / ص ح /ص ح ح / ص ح ص/ ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح

الآية (34) ذا ل ك عي سَبْ ن مر ي
ص ح ص /ص ح /ص ح/ ص ح ح / ص ح ص /ص ح /ص ح ص / ص ح
م قو لَلْ حق قِلْ ل ذي في هِ
ص ح /ص ح ص/ ص ح ص / ص ح ص/ص ح ص/ صح /صحح / ص ح ح /ص
ح يَمْ ت رون
ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص
الآية (42) إذ قا ل لِ أ بي ه يا أ
ص ح ص/ص ح ح / ص ح /ص ح / ص ح / ص ح ح/ص ح/ص ح ح / ص
ح ب ت لِ مَ تَعْ ب د ما لا
ص ح / ص ح / ص ح / ص ح /ص ح ص / ص ح /ص ح /ص ح ح /ص ح ح
يس م ع و لا يُب ص ر و لا
ص ح ص /ص ح/ص ح/ص ح /ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح
يُغْ ني عن ك شي آ
ص ح ص /ص ح ح /ص ح ص/ صح / ص ح ص / ص ح ح

من هذه الآيات الثلاث المختارة من وسط السورة جاءت المقاطع الصوتية كما يلي :

في الآية (16) : ــ عدد المقاطع القصيرة (9)

ــ عدد المقاطع المتوسطة المغلوقة (11) والمفتوحة (4)

في الآية (34) : ــ عدد المقاطع القصيرة (8)

ــ عدد المقاطع المتوسطة المغلقة (7) والمفتوحة (5)

ــ عدد المقاطع الطويلة (1)

في الآية (42) : ــ عدد المقاطع القصيرة (18)

عدد المقاطع المتوسطة المغلقة (7) والمفتوحة (9)

ثالثا : آيات من آخر السورة :

الآية (97): ف إنْ نَ مَا يس سَرْ نا ه
ص ح / ص ح ص/ ص ح /ص ح ح / ص ح ص/ ص ح ص/ص ح ح /ص ح

بِ لِ سا ن ك ل ت بشْ شِ ر ب
ص ح/ص ح /ص ح ح/ ص ح/ص ح /ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح /ص ح
هِلْ مُتْ ت قي ن وَ تُنْ ذِ ر بِ
ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح /ص ح/ص ح /ص ح ص/ص ح /ص ح/ص ح هي قو مَنْ لُدْ دا
ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح

من هذه الآية : ـ عدد المقاطع القصيرة (18)

ـ عدد المقاطع المتوسطة المغلقة (10) والمفتوحة (6)

يمكن القول أن موسيقى القرآن لا تخضع لتوالي المقاطع كما هو في الشعر، بل غن هذه الموسيقى تسحرنا وتشدنا، ففي تحليل مقاطع هذه الآيات نجد تارة زيادة المقاطع القصيرة على المتوسطة لتبيين الاضطراب– مع زكريا عليه السلام وحالته الضعيفة نجد إيقاعا متوازن فيه نوع من التوزيع المتساوي– ثم ترجع غلبة العناصر المتوسطة المفتوحة على المغلقة لتشيع لنا جوا من الجلال والتعظيم وزيادة من الهيبة والوقار (التخفيف من قلق مريم) (معجزة سيدنا عليه السلام ـ التكلم في المهد ـ) ومرة أخرى تنتهي مجموعة من الآيات ـ من 34 إلى 40 ـ بمقطع طويل مغلق لتجعل أسماعنا تحس أن ما نسمعه هو شيء مغاير لما قبله من القصِّ، لتعود غلبة المقاطع القصيرة مبينة الاضطراب والقلق والحزن والشفقة (حالة إبراهيم عليه السلام مع والده، وأيضا غضب والده عليه) لنلاحظ في الأخير مسامة المقطع القصير في زيادة حدة الانتباه وإثارة الأسماع في الآخرين .

ب– **ملامح الأصوات والألفاظ :**

تعدّ الدراسة الفونيمية أساسا من أسس الدراسة اللسانية والأسلوبية الجديدة، فالبناء الصوتي يظهر في بعض من جوانب النص الأدبي من خلال الملامح الصوتية التي تبرز بشكل يلفت النظر إليها، والتناسب الطبيعي بين الأصوات في القرآن الكريم يعدّ لونا من ألوان الإعجاز القرآني، فهو من إعجاز النظم الموسيقي وهذا" لترتيب حروفه باعتبار أصواتها ومخارجها، ومناسبة ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة

والرخاوة والتفخيم والترقيق والتفشي والتكريم وغير ذلك"[1]، وهو مانجده في هذه السورة متحققا من انسجام وتوافق بين طبيعة الأصوات ومعانيها الصوتية :

1 ـ انزياحية صوت المد :

أ ـ بث الشكوى وإظهار القوة والرحمة :

منحت أصوات المد الفرصة لبث الشكوى مثل حالة دعاء زكريا ،قوله تعالى :{وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليا} مريم 05،فنجد الكسرة الطويلة والفتحة الطويلة اللتان تعبران عن الألم والرغبة في الحصول على خليفة يكون خلفا لسيدنا زكريا (وإني ،الموالي، ورائي، وكانت، امرأتي، عاقرا، لي، وليّا).

ونفس الشيء بالنسبة لمريم عليها السلام التي كانت حزينة ووجدت في أصوات المد نداءا لتعبر به عن حزنها، قوله تعالى:{قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيّا } مريم 23 ،فنجد الكسرة الطويلة (ليتني) والفتحة الطويلة (يا، هذا، نسيا، منسيا).

منحت أصوات المد الكثير من الوضوح والإبانة كمجيئها في حديث طفل يتكلم في المهد ،وهذه المعجزة الربانية تبهر المستمعين وتزيد من إظهار قوة الخالق، قوله تعالي:{قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا، وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيّا} مريم 30 –31 ،مشيعة جواً موسيقيا عذبا من خلال الحركات الطويلة من فتحة وكسرة وضمة ،وشدت الأسماع ففيها تطريب وجمال ونغم، وانسجام رائع مع هذا الصبي الذي لازال يتكلم في المهد .

وأيضا نجد أصوات المدِّ في موقف المفاصلة بين المؤمنين والكافرين ـفي قصة إبراهيم عليه السلام ـ قوله تعالى :{ واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ري على أن لا أكون بعاء ربي شقيًّا } مريم 48، ففي الكلمات :(تدعون ،دون ،أدعو،أكون) ضمة طويلة، وفي: (وما، الله، عسى، بدعاء) فتحة طويلة، وفي: (ربي) المتكررة مرتين كسرة طويلة ،لتبين صوت البراءة من الكافرين، وقوة تبين عدم الخوف .

ب ـ التعظيم والتهديد:

كما تظهر أيضا أصوات المد عظمة الخالق وقدرته عز وجل ،قوله :{يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحي لم نجعل له من قبل سميا }مريم 7، فالكلمات(يا زكريا، إنّا، غلام، يحيا

[1] مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار المنار ، القاهرة ،ط1 ،1997،ص 169 .

،سميّا) ذي حركات الفتحة الطويلة قد ساهمت في إظهار قوة الله عز وجل وعظمته ،كما أنه أيضا قد استعمل ضمير الجماعة التي تعود على الله (إنا) لتزيد الكلام عظمة .

وقوله :{ يا يحي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا } مريم 12 ،فقد منحت أصوات المدِّ هيبة ووقارا وعظمة وجلالا ،وزادتها أيضا استعمال ضمير الجماعة في (وآتيناه) الدالة على التعظيم، وأيضا قوله:{ فأرسلناه إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا} التي شملت استعمال ضمير الجماعة المخاطب .

وفي عملية التشنيع التي انتهجها قوم مريم لفعلتها والمبالغة وتعظيم ما فعلته ـ حسبهم ـ من إنجاب ولد دون أب ،(يا مريم قد جئت شيئا فريا،يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء ،وما كانت أمك بغيا)مريم 27-28 ،نجد الكلمات (يا، فريا، كان، هارون، وما، كانت، بغيا) فيها فتحة طويلة، وضمة طويلة وفي كلمتي (هارون، أبوك) تبين حالة التشنيع والاستعظام للجرم الذي ظنوا أن مريم قد ارتكبته .

وما نجده من تهديد رباني لمن ظن أنه سيجد مالا ويرثه في الآخرة ،قوله تعالى:{ كلا سنكتب له ما يقول ونكتب له من العذاب مدّا } 79، فهنا نجد تهديدا بضمير الجماعة عائد على الله سبحانه وتعالى وحده في الكلمات :(سنكتب، نمدُّ، نرثه، يأتينا).

التعجب :

وتُظهر أيضا أصوات المد تعجبا لحصول شيء ما واستفهام من إمكانية حدوثه ،مثلما هو الحال مع مريم عليها السلام وقوله:{قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيّا} مريم 20، وفي قوله تعالى :{ويقول الإنسان أئذامامتُّ لسوف أخرج حيا} 66، فأصوات المدّ الطويلة في الكلمات (أنّى، يكون ، لي ،غلام ،يمسسني ،بغيا، أئذامامتُّ) تعجب مما يمكن حدوثه.

الهدوء والسكينة:

وتوحي لنا أصوات المدّ كذلك بسكينة ملؤها الأمن والأمان، قوله تعالى لمريم :{فكلي واشربي وقري عينا} 26، واللطف الذي تكلم به إبراهيم عله السلام مع أبيه:{ياأبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا، ياأبت لا تعبد الشيطن إن الشيطن كان للرحمن عصيا يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطن وليّا } 43-45،فحركات الفتحة في 0 يا، جاءني، ما، سويا، لا، الشيطان، أخاف، عذاب، وليا)

وحركات الكسرة الطويلة (إني ،جاءني،فاتبعني ،إني) والضمة الطويلة (فتكون) تبث جوا من الهدوء والسكينة .

ونفس الشيء بالحديث عن أهل الجنة، قوله تعالى :{'لا من تاب وآمن وعمل صالحا ،فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا، جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب، إنه كان وعده مأتيا، لا يسمعون فيها لغوا إلا سلام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا، تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا}مريم 60-63 ،فأصوات الفتحة الطويلة (إلا، تاب، آمن ،صالحا ،فأولئك،شيئا...) وأصوات الضمة الطويلة (يدخلون، يظلمون، يسمعون، نورث) والكسرة الطويلة في (التي، فيها)، تبين لنا إيقاعا هادئا ملؤه السكينة والهدوء والطمأنينة .

صوت النون :

صوت النون "[1]على مستوي الإيقاع لاشك أنه يمثل رنة تحدث قوة إسماع حاملة ترددا زمنيا طويلا "فهو يزيد الآيات وضوحا ويعطيها رنينا بالإضافة غلى صوت النغم الموسيقي في هذا الحرف، حيث نلاحظ في الآية:{ إنّي وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا} مريم 4 موسيقى ترتاح غليها الأذن إذ أشاع صوت النون المضعف في الآية نوعا من الترنم (إني ،مني) ،ونلحظ صوتا واضحا شديدا ،ورنينا مدويا في أكثر الآيات التي يشيع فيها صوت النون ،فهو يضاعف قوة الأسماع قوله :{ وحنانا من لدنّا وزكاة وكان تقيا } 13 ، وقوله :{ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا، ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا } فنجد هنا إيقاعا حاسما جليا يتلاءم مع جلاء معناه .

ويبرز أيضا صوت النون ليمنح الكلام قوة في الطرح وبث الثقة اللازمة ،قوله تعالى لمريم عليها السلام :{ فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيّا} 26 .

وفي مقام التهديد والوعيد نجد أيضا صوت النون في قوله :ر فوربك لنحشرنهم والشياطين ،ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا، ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيّا } مريم 68-69 ،لتبرز صوتا معبرا عن الغضب محدثة تأثيرا على النفوس قويا.

[1] أحمد كشك : من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي،دار السلام ،ط1، 1983 ،ص 13 .

صوت الميم:

صوت الميم صامت أنفي يصاحب إنتاجه صوت الغنة ،يبقي تكراره على الأسماع وضوحا وجمالا صوتيا على الآيات قوله:{ فخرج على قومه من المحراب }11 ،حيث نجد الكلمات (قومه ، من ، المحراب) ،جاءت سهلة النطق عذبة التتابع و وفي قوله تعالى :{قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّا ،حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعملون من و شر مكانا وأضعف جندا } 76 ،ففي الكلمات(من فليمدد الرحمن مدا ما إما وإما ومن مكانا) تزيد الميم من ارتفاع صوت التهديد وإسماع نبرة الوعيد بالإضافة إلى ما تضفيه الآية من جمال الإيقاع وتناغم الأصوات .

صوت اللام :

اللّام صوت مجهور ذو وضوح سمعي " وهي أخف الحروف على اللسان وأحسنها انشراحا"[1] ففي قوله تعالى :{ فهب لي من لدنك وليا}5 فقد أكسب دعاء زكريا عليه السلام إيقاعا منسجما محببا إلى الأسماع،وساعد في غرضي الاستعطاف والاسترحام ،وفي قوله :{ قال رب اجعل لي آية ،قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا} 10 ، حيث تم تردد صوت اللام تسع مرات زادت المقطعين عذوبة وسلاسة في النطق ،ونجد هذه العذوبة ايضا والوضوح في الصوت في قوله تعالى :{ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا} مريم 70، فاللام هنا مترددة ست مرات جعلت الإيقاع متناسقا منسجما تقرأ بكل سلاسة وانسجام .

صوت الياء:

الياء صوت فموي، ونصف صامت أو نصف حركة ،وتختلف هذه الياء عن ياء المدّ في قلة وضوح الأولى بالنسبة إلى الثانية ،وقد طغى صوت الياء على أغلب آيات السورة جاعلا منها مميزة بإيقاع عذب رقيق كمخاطبة الله ليحي عليه السلام قوله :{ يايحي خذ الكتاب بقوة ،وآتيناه الحكم صبيا} 12، وقوله تعالى على لسان مريم :{ ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيّا } 23 فجاء الياءات غاية في الجمال والتناسب، وفي قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام لما تكلّم في المهد :{ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا، وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا،وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا

[1] أبو محمد مكي بن أبي طالب القبسي: الرعاية ، تحقيق احمد حسن فرحات، دار الكتب العربية،ص110 -111 .

،والسلام عليا يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا }30-330،فنجد صوت الياء شذيَّ الإيقاع خاصة وخروجه من صوت حنجرة الطفل في المهد لتبعث معاني الرضا والاطمئنان.

الأصوات المفخخة :

التفخيم "ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلا في اتجاه الطبق اللين وتحركه غلى الخلف قليلا في اتجاه الحائط الخلفي للحق وينقسم إلى اثنين: أصوات مطبقة (الضاد الصاد، الطاء الظاء) وأصوات لا إطباق فيها ذات تفخيم جزئي (خاء، عين، قاف) وقد كان لهذه الأصوات دور في مصاحبة المعنى وتجسيده :

إبراز ضخامة الحدث :

كقوله تعالى :{ إذ تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا } ولنا أن ندرك هذا الخرّ الجماعي للمؤمنين وكيف يُعبّر عنه .

المبالغة والتعظيم:

قوله تعالى :{ إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون } مريم 35 ،فقد منحت أصوات التفخيم بُعدا تعظيميا لهذه المقدرة ،نشأ من إيقاعها القوي .

صوت الهمز:

في الهمز "ينغلق الوتران الصوتيان بصورة محكمة ،ثم ينفتحان بصورة خاطفة ، فيكون الانفجار المسمى بالهمزة"[1]، وله دور مهم في تجسيد الغضب والتهديد لحديث والد إبراهيم وإبراهيم عليه السلام، قوله تعالى:{ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم، لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا} 46 و ويجسد أيضا الثقل والمشقة حال مريم عليها السلام في الآية : { فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيّا } 23 ، فهنا تكررت الهمزة مرتين مع صعوبة نطقها

ج- الفاصلة القرآنية وجمالية الانزياح فيها :

الفواصل " حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعنى "[2]، و رعاية الفاصلة" لون من الجمال الموسيقي المؤثر وهو مما يقصد إليه النظم الكريم أخذا بالآذان والقلوب "[3]

[1] عبد الصبور شاهين : المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي،مؤسسة الرسالة ،بيروت،1980، ص 28 .

[2] جلال الدين السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ،ص 290 .

[3] محمد الأمين الخضري : من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم : مكتبة وهبي القاهرة ، 1989 ، ص232 .

وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة لأنها طريق إلى إفهام المعاني فالفاصلة حرف موسيقي مقيد بالمعنى.

وانتهت الآية الأولى في سورة مريم : (كهيعص) بالحرف (صاد) مشكلة الافتتاح للسورة فهي كما تسمى بفواتح السور، وجاءت الفاصلة فيها مختلفة عن بقية فواصل السورة بما يعطي الافتتاح صوتا خاصا مميزا .

ثم جاءت كلمات الآيات من الآية 2إلى 33 منتهية معظمها بالياء المضعّفة المتبوعة بصوت الفتحة الطويلة كـ(زكريا، خفيا، شقيا، وليا، رضيا، سميا، عتيا، شيئا، سويا، عشيا، صبيا، تقيا، عصيا ... انسيا، فريا، بغيا، صبيا، نبيا، حيا، شقيا، حيا) .

وبعد انتهاء قصة عيسى عليه السلام النسق من الآية (34) إلى (40) التي تنتهي كلماتها الأخيرة بصوتي النون والميم المسبوقتين بكسرة طويلة أو ضمة طويلة (يمترون ،فيكون، مستقيم، عظيم ...يرجعون) وهذا الاختلاف لم يشوش على التناسق الإيقاعي للسورة ، إنما زاده وقارا وسطوعا ،فهو اختلاف ناشئ عن تغير الموضوع، "فلهجة الحكم في الآيات غير أسلوب الاستعراض، وتقتضي إيقاعا قويا رضيا، بعد إيقاع القصة الرضي المسترسل ، وكأنما لهذا السبب كان التغيير "[1].

وبمجرد إعلان البيان الإلهي الحاسم بشأن عيسى عليه السلام ،عادت السورة إلى سيرتها الأولي من حيث الإيقاع المنسجم والفواصل المتشابهة لرجوعها إلى سرد القصص (قصة إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس عليهم السلام) من الآية (41) إلى الآية (749) وفي نهاية السورة اشتركت الفاصلة بين الدال والزاي المتبوعتان بصوت الفتحة الطويلة من الآية 75 إلى 98 وانتقل الروي من الصوت الرخيّ غلى صوت شديد يناسب الموضوع الجديد الذي يقتضي الشدّة والعنف و فيشتد ويقوى جرس الفواصل عند تهديد الكافرين .

واتصفت فواصل سورة مريم بلون من الانسجام الموسيقي أكسبها تآلفا وتناغما لعدة أسباب ساهمت في وضوح فواصل السورة وانسجام أصواتها، منها اتفاق معظم الفواصل في الصوت حيث أن معظم آيات السورة جاءت فواصلها متماثلة، هذا بالإضافة إلى توازن فواصل الآيات القرآنية كقوله تعالى:{ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا بهم عزا، كلّا سيكفرون

[1] سيد قطب : التصوير الفني في القرآن، دار الشروق القاهرة،ط8 ،1983 ، ص 109 .

بعبادتهم ويكونون عليه ضدّا } مريم 81-82، حيث أن الكلمتان (عزا ضدّا) متوازنتان في وزنهما .

وجاءت 62 فاصلة مشتملة على ثلاث مقاطع من بينها (47) فاصلة متفقة في الوزن منها (خفيًّا، شقيّا ،وليّا ،رضيّا سميّا عتيّا ...جثيّا نديّا رئيّا).

وجاءت 30 فاصلة مشتملة على مقطعين اثنين فقط منها 28 لها الوزن نفسه منها :(شيئا، حيّا، حيّا، حيا، شيئا، غيّا، شيئا، حيّا، شيئا، جندا، عهدا، مدّا، فردا، عزا، ضدّا، أزاّ)وعمل اتفاق هذه الفواصل في الوزن على إشاعة التوازن الإيقاعي في فواصل السورة وأصواتها .

هذا بالإضافة إلى غلبة الفاصلة المطلقة، فقلد جاء الملمح الإيقاعي بارزا جدا في السورة ، فآياتها تشد السامع إلى هذا الإيقاع الموسيقي الخلاب .

المبحث الثاني: المستوى الصرفي :

من الثابت أن الباعث الأول على تدوين اللغة العربية، واستقرائها ، واستنباط قواعدها ووضع الأصول التي تحفظها من الضياع والفساد، هو ظهور اللحن والخطأ على الألسنة، بعد أن بدأت السليقة العربية بالضعف، نتيجة اختلاط العرب بالأعاجم، ولم يقتصر هذا الضعف والفساد على الأساليب والتراكيب اللغوية بل سرى إلى المفردات التي تتكون منها الجمل، فخشي أهل البصر والعلم من امتداد هذا الفساد اللغوي، وان يطول العهد به، فيستغلق القرآن الكريم والحديث الشريف على الإفهام...فوضعوا بعض الضوابط و القواعد اللغوية، ثم توالى العلماء طبقة بعد طبقة بحثًا وجمعًا وتأليفًا، وكانت هذه المؤلفات تشمل على مباحث الإعراب ومباحث الصرف[1] .

ويضاف البعد الصرفي إلى البعد الصوتي ليشكّلا معًا دلالة الكلمة ورمزيتها، منها الدقة في اختيار أقوى الصيغ، وأقدرها على توصيل المعنى وتأكيده،ويتناول المستوى الصرفي في هذه السورة الكريمة في مبحثين اثنين: الأول في الأفعال ، والثاني في الأسماء، مع الأخذ بنماذج أساسية في كل مبحث منهما:

[1] ياسين الحافظ : إتحاف الطرف في فن الصرف،تق: محمد علي سلطاني، دار العصماء دمشق،ط1 ،2008 ،ص7 .

أ- **في الأفعال :**

للأفعال عدة تقسيمات حسب اعتبارات عدّة، والدراسة في هذا المبحث تشمل: المجرد والمزيد، والصحيح والمعتل، والمتعدي واللازم، وكذلك الماضي والمضارع والأمر، والمبني للمعلوم والمبني للمجهول، مع الأفعال الناقصة والمقاربة والتعجب ، كل هذا موجز باختصار شديد ، لأن ما يتضمنه تحليل هذا المبحث على جزئياته كلها مع الإحصاء والتصنيف لا يمكن أن تسعه منهجية هذه المذكرة .

1- المجرد والمزيد:

عدد الأفعال الماضية المجردة المبنية للفاعل يصل إلى ثلاثة وستين فعلا، حيث شملت الناقص والأجوف والمهموز والمثال والصحيح، كما يمثل المتعدي واللازم، وأما المبنية للمفعول منها ثلاثة فقط، والمجموع ستة وستون :

فمن الماضي المجرد المعلوم (ذكر، قال، رفع، حمل، هدى، خرّ، تاب، عمل، جاء...)

ومن الماضي المجرد الجهول(ولد، قضى، ولد).

أما عدد الفعل المضارع المعلوم من المجرد فقد بلغ أربعة وستون نذكر منه(يرث، نجعل ،يكون، يموت، يرجع، يسمع...) ،،والمجهول تسعة(يبعث، ابعث، يرجع، تتلى، يظلم، يوعد ...) .

وقد ورد فعل الأمر من المجرد في ثمانية عشر موضعا (هب، اجعل، قل، اذكر...).

ومن هذا كله فإن مجموع ما جاء من الثلاثي المجرد في صوره الثلاث ـ الماضي والمضارع والأمر ـ يبلغ 156 .

كما أن العدد الإجمالي لصيغ الثلاثي المزيد ـ من الماضي والمضارع والأمر ـ في هذه السورة قد وصل إلى ثلاثة وثمانين صيغة ، وهذا العدد يشمل المعلوم والمجهول معا.

2- المتعدي واللازم :

بلغ مجموع الأفعال اللازمة أربعة وثلاثين(34) ، موزعة كما يلي:

- الثلاثي المجرد(17) ،و الثلاثي المزيد (17)

بلغ عدد الأفعال المتعدية مائة وثمانية وسبعون(178) موزعة كما يلي:

- الثلاثي المجرد(114) ،والثلاثي المزيد(64)

3- الأفعال الناقصة:

ومنها: كان ،ظلّ ، بات، أضحى، أصبح، أمسى ،صار ،ليس...

ولم يرد من هذه الأفعال في السورة إلا ثلاثة أفعال (كان ،مادام ،تمثل) جاءت كما يلي :

- كان ،يكون، ووردت خمسة وثلاثين مرة و جاء الماضي منها أربعة وعشرين مرة (24) ، والمضارع(11) ،
- مادام ، في قوله تعالى :{ وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيّا }
- تمثل، في قوله :{ فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشرا سويّا}

4- أفعال المقاربة:

قال تعالى : { عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيّا} ،{ تكاد السماوات يتفطرن منه} هاتان الصيغتان (عسى ، تكاد) هما اللتان في السورة من أفعال المقاربة ، واستعمالهما جاء على الأصل أي باقتران "أن" في (عسى) ، وعدم اقترانها في (كاد) ، و"كاد" وردت على صيغة المضارع .

ب- في الأسماء :

تشكل الأسماء في سورة مريم مادة صرفية ثرية إذ ترد في سياقات متباينة تحمل صيغ مختلفة كالفكرة والمعرفة وغيرهما مما يؤدي إلى الاختلاف في المعاني التركيبية، وهذا النوع من الأسماء يعد أصلا من أصول البحث الصرفي الحديث ،حيث "يتمثل هذا النوع في أبواب وبحوث هي من صميم الصرف بالمعنى الذي نفهمه، ونعني بذلك تلك الدراسة التي لدراسة الكلمات وصورها لا لذاتها وإنما لغرض معنوي أو للحصول على قيم صرفية و تفيد في خدمة الجمل والعبارات... فالبحث في هذه المسائل وأمثالها بحث صميم، إذ يخدم الجملة ، ويجعلها ذات معان مختلفة بحيث لو تغيّرت وحداتها تغيرت معانيها..."[1] .

وينقسم الاسم إلى قسمين رئيسيين،هما المشتق والجامد، فنجد في الأسماء المشتقة ولواحقها: اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة ،والصفة المشبهة، واسم التفضيل، واسما الزمان والمكان، واسم الآلة، وهي كلّها موجودة في هذه السورة .

في حين أننا نجد من الملحق بالمشتق " المنسوب" فقط ويكون ذكره بعد المشتقات مباشرة .

[1] محمد كمال بشر: مفهوم علم الصرف،مجلة مجمع اللغة الراعربية،العدد25، نوفمبر 1969 ، ص110 .

وكما هو معروف تنقسم الأسماء الجامدة إلى قسمين : أسماء الأعيان ، وأسماء المعاني .

ج- الأعلام الواردة في السورة:

- **آدم** : إسم أعجمي ، ففي اشتقاقه نظر ، وذكر في خمسة وعشرين مرة في القرآن
- **ابراهيم** : اسم اعجمي فيه عدة لغات ، ومن قال : أنه مشتق ومركب ، فقد تكلّف ، وذكر في بضع وخمسين موضعا
- **ادريس** : أعجمي غير متصرف ، وقيل مشتق من الدرس، وهذا على فرض عربيته ، والراجح أنه أعجمي ، وذكر في موضعين في القرآن الكريم
- **اسحاق** : أعجمي غير متصرف .
- **اسرائيل** : هو يعقوب عبيه السلام .
- **زكريا** : اسم أعجمي .
- **عيسى** : اسم أعجمي غير متصرف للعجمة والعلمية
- **مريم**
- **موسى** : معرب ، أصله :موشا، بالعبرية ، وذكر في مئة وستة وثلاثون موضعا في القرآن الكريم
- **نوح** : اسم أعجمي متصرف بسكون وسطه ، وقيل جائز صرفه.
- **هارون** : أعجمي ، وقيل معرب، لنشاطه في الطاعة .
- **يحي** : أعجمي ، ويجوز أن يكون عربيا منقولا عن الفعل .
- **يعقوب** : أعجمي ، وهو : إسرائيل ، والقول في اشتقاقهما تكلف .

الفصل الثالث

الانزياح على المستويين التركيبي والدلالي

المبحث الأول: الانزياح التركيبي

إنّ ما يؤكد أهمية الانزياح أنه لا ينحصر في جزء أو اثنين من أجزاء النص، وإنما له أن يشمل أجزاء متعددة ومتنوعة، لذلك فإن المتكلم حين يخرج من الحدود المعيارية المطّردة ويلجأ إلى الانزياح التركيبي فإنه بهذا يسعى إلى أن يحقق هدفاً جماليا، لأن" تحريك الكلمة أفقيا إلى الأمام أو إلى الخلف يساعد مساعدة بالغة في الخروج باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي [1].

فالحدود المعيارية تحقق المستوى النفعي في أن الخروج إلى ما هو هامشي أو ثانوي أو استثنائي يحقق بهذا الوظيفة الإبداعية ،ف" الانزياح التركيبي لا يكسر قوانين اللغة المعيارية ليبحث عن قوانين بديلة، ولكنه يخرق القانون باعتنائه بما يعدُّ استثناءا أو نادرا فيه"[2].

وقد ارتأينا المظاهر التالية فقط، لأنها تمثل في نظرنا بؤرة مباحث الأسلوب الدائرة حول التركيب :

أ- انزياحية التقديم والتأخير :

يمكن تحديد مفهوم التقديم والتأخير في نظم الكلام وتأليفه بأنه تبادل في موقع الكلمات بحيث تترك الكلمة معناها في المقدمة ولتحل محلّها كلمة أخرى، وذلك لتؤدي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها المحدد الذي اقتضته قاعدة الانضباط اللغوي"[3]، فهو انزياح في التركيب، لأنه لا يظهر إلا من خلال التركيب بل لعله أظهر ما يقوم المبدع من تركيب"[4]، وقد شكل التقديم والتأخير في سورة مريم ظاهرة انزياحية جاءت بالعديد من المعاني البلاغية.

وقد يفيد التقديم في سياق الوعد والتبشير بما فيه من تأكيد ومزيد من الضمانة قوله تعالى :{ فأولئك يدخلون الجنة } مريم60 ففي مجيء الخبر فعلا والمسند إليه مقدما تقوية لهذا الوعد بدخول الجنة وتأكيد لهذه البشرى.

[1] محمد عبد المطلب : جدلية الافراد والتركيب في النقد العربي القديم ، مكتبة الحرية الحديثة ،1984 ،ص 143 .
[2] سامح الرواشدة : فضاءات شعرية دراسة في ديوان امل دنقل ، المركز القومي للنشر إربد،ط1 ،1999،ص53 .
[3] ينظر: منير سلطان: بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، منشأة المعارف ،الاسكندرية ،ط1 ،1988، ص 139.
[4] ينظر: احمد محمد ويس: الانزياح في التراث البلاغي ،ص163 .

وقد يكون المسند إليه من ألفاظ العموم، ك(وكلّهم) في قوله تعالى :{ وكلّهم آتيه يوم القيامة فردا} مريم 95، فيدل هنا تقديمه على مقصد الشمول لجميع الأفراد، وفي الأصل أن يتقدم المسند إليه أولا ثم المسند، ومن ذلك قوله تعالى :{ قال كذلك قال ربك هو عليّ هيّن }9 ، حيث قدم الجار والمجرور (علي)على المسند (هين) لأن سياق الموضوع يتعلق بالله وقدرته ، فدل التقديم على الاختصاص فكأنه يقول (هو علي هين) إن كان صعبا عليكم أن تتصوروا أن يولد غلام لرجل هرم وامرأة عاقر .

ويفيد أيضا تقديم المسند في إظهار اهتمام به، وتخصيصه في قوله تعالى :{ له مابين أيدينا وما خلفنا ومابين ذلك) 64، حيث قدم المسند (له) لتخصيص الملكية والتصرف لله وحده ومن ذلك قوله تعالى :{ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) 62، فقصد من تقديم الخبر(ولهم) تخصيص المؤمنين دون غيرهم من الكافرين برزق آخر لمضاعفة سرورهم ، وزيادة يقينهم بالله عز وجل.

وفي قوله تعالى على لسان والد إبراهيم :{ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم } 46 " قدم خبر المبتدأ ولم يقل : أنت راغب، ليدل بذلك على إفراط تعجبه في الميل عنها، ومبالغة في الاهتمام بأمرها فانزياحية تقديم المبتدأ هنا تكمن في زيادة الإنكار على إبراهيم من طرف والده وقد يتقدم الجار والمجرور، أو الظرف أو المنادى على خبر كان، مفيدا معنى الاختصاص كما في الآية :{ ولم أكن بدعائك رب شقيا } 04 مريم ،أي لم أكن بدعائك ربي خاصة شقيا ،أيضا قوله :{ عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا} مريم48،ومن هذا أيضا قوله :{ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا } مريم 71، هنا أفاد تقديم الجار والمجرور (على ربك) في إظهار الحق في وعيد الله سبحانه بورود جميع العاصين جهنم .

وقد يقع التقديم والتأخير في متعلقات الفعل مثل الزمان والمكان اللذان يقع فيهما الفعل و الجار والمجرور والحال والمفعول، حيث يتم ترتيب الكلام ليكون متسقًا مع المعنى المراد.

بحيث يتقدم المفعول به على فاعله كقوله :{ وكلّا جعلنا نبيا} مريم 49 وهذا " للتخصيص لكن لا بالنسبة إلى عداهم، بل بالنسبة غلى بعضهم أي كل واحد منهم (جعلنا نبيا) لا بعضهم دون بعض"[1]، فانزياحية تقديم المفعول (كلا) للدلالة على تخصيص كليهما بالنبوة ، ويتقدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة معنى القصر ونفي عما سوى الضمير في الجار والمجرور في الآية :{ وإلينا يرجعون } مريم40، فالتقديم هنا " يفيد القصر أي لا يرجعون إلى غيرنا ومحمل هذا التقديم بالنسبة إلى المسلمين الاهتمام ومحمله بالنسبة إلى المشركين القصر "[2].

وقدم الجار والمجرور على المفعول (سميا) في الآية :{ لم نجعل له من قبل سميا } مريم 7، للدلالة على اختصاص يحي عليه السلام بهذا الاسم المبتكر من عند الله عز وجل ،وتقدم المنادى (ربِّ) على المفعول الثاني (رضيا) في قول الله تعالى على لسان زكريا:{ واجعله ربّ رضيا } مريم 6 ، فالإنزياحية هنا للدلالة على قرب الله من زكريا وتلذذه بذكر اسم ربه .

الترتيب للتقدم المعنوي:

ودائما ما يقدم من كان هو موضوع الحديث في القرآن ومحور الاهتمام ،ولقد أشار العلماء غلى علاقة الترتيب بين الألفاظ والمعنى وتبعيّتها له،أي التقديم الذي يكون فيه ترتيب الألفاظ للمعاني "إما أن يتقدم المعنى عليه أو يتقدم وهو في المعنى مؤخرا أو بالعكس" [3]، حيث ورد تقديم العلة عل النتيجة ي قوله تعالى :{ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم } مريم 36، حيث قدم ذكر الربوبية لأنها سبب التوجه غلى الله سبحانه بالعبادة ونتيجة القرار لله بالربوبية هي إفراده وحده بالعبادة .

ومن انزياحات التقديم المعنوي في السورة مراعاة المقام كتقديم إظهار الضعف التام في الدعاء قبل طلب الحاجة، في دعاء زكريا عليه السلام :{ قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك ربي شقيا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب

[1] أبو الفضل شهاب الدين الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،قرأه محمد حسين العرب ،دار الفكر للطباعة والنشر ،لبنان ،ج15،ص102.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ، ج16، ص111 .

[3] بدر الدين محمد الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل، ط1 ،القاهرة ،دار إحياء الكتب العربية ،1958، ج3 ،ص238 .

لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضيا } مريم64، فقد " قدم على السؤال أمور ثلاث: أولها أنه بين حالة ضعفه، ثم أن الله عز وجل ماردَّ دعائه أبدا وأخير كون المطلوب سببا للمنفعة في الدين ،ثم بعد تقرير هذه الأمور صرّح بالسؤال "[1].

وقدّم الله نداءه ليحي عليه السلام قبل أن يتحدّث عنه بكلمة في قوله :{ يا يحي خذ الكتاب بقوة } مريم 12، لأن "مشهد النداء مشهد رائع عظيم ،يدل على مكانة يحي، وعلى استجابة الله ليحي في أن يجعل له من ذريته وليا"[2].

ب- إنزياحية التكرار:

يسلط التكرار الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الثر ويحلل نفسية كاتبه[3]، فيكون منبعثا على المثير النفسي مفضيا إلى نفس المخاطب بأثره، والتكرير الحاصل نتيجة له وقعه، إذ يدقّ اللفظ بعدما يتكرر أبواب القلب موحيا بالاهتمام الخاص بمدلوله .

وهناك نوعان من التكرار في القرآن الكريم: تكرار الأخبار والقصص، وتكرار العبارات والألفاظ ،فأمّا تكرار القصص في سورة مريم فلا توجد قصة واحدة تكررت مرتين ـ تكررت في مواضع أخرى من القرآن الكريم ـ، أما النوع الثاني المتمثل في تكرار الألفاظ والعبارات، فقد حاولنا أخذ عينات منه من سورة مريم في محاولة لدراسة انزياحية التكرار:

أولا – المعاني التي أفادها تكرار الألفاظ:

1) السلام والرحمة والعطاء:

أشاعت بعض ألألفاظ في السورة مثل (الرحمن) (الرحمة)و(هينا) (السلام) جوا من الود والبركة والطمأنينة، فقد تكرر لفظ (الرحمن) مرات عديدة جعله يلفت انتباهنا مشيعا جوا من نسائم الرحمة على مستوى السورة أو على الأقل في الآيات التي ذكر فيها هذا اللفظ، كقوله تعال:{ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا} مريم18،فقد اختارت مريم هذه الصفة لله

[1] فخر الدين محمد الرازي: التفسير الكبير،ج1 ،ص181 .
[2] سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق ،مصر ،ط16، 1990،ص2304 .
[3] نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ،منشورات دار الأدب ،بيروت ،1962،ص 240 .

لأنها كانت في موقف صعب يتطلب رحمة الله بها فهي باختيارها هذا اللفظ "أرادت أن يرحمها الله بدفع من حسبته داعرا"[1].

ويأتي لفظ (الرحمن) في سياقات توحي باستحقاق الأشخاص المذكورين أو أفعالهم للرحمة ،كما في قوله :{ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدا وبكيا }مريم 58، وقوله :{ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب }مريم 61، وقوله:{ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا} مريم85،وقوله:{ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا} مريم96.

وكذلك فقد جاء تكرار لفظ (السلام) بجوّ من الأمان والمودة ،"قال القاضي: السلام عبارة عما يحصل به الأمان، ومنه السلام في النعم وزال الآفات "[2]،قال تعالى :{وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّا}مريم 15، وقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام :{والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا }مريم 33، فهذا السلام يُعلي من قدر هذين النبيّين لأنه مرسل من عند الله عز وجل، ف"كل هذا تنبيه من الله تعالى أنه جعلهم بحيث يُثنى عليهم ،ويُدعى لهم"[3]، هذا بالإضافة إلى كونه قد جاء في لحظات صعبة جدا.

2) تقوية المعنى وتأكيده :

تكرر الفعل (كان) بصيغه المختلفة في السورة بشكل ملحوظ وكان له أثر جليّ في تأكيد المعنى وإكسابه متانة وجزالة، وفعل الكون :"يدل على الإخبار على حدوث شيء، إمّا في زمان ماضٍ ،أو زمان راهن، يقولون : كان الشيء يكون كونا إذا وقع وحضر "[4]،وصيغة الماضي منه تدل على ما مضى من الزمان ،لكنها في "كثير من وصف الله تعالى تنبئ عن معنى الأزلية "[5].

وتكرر هذا الفعل في سورة مريم نحو أربعين مرة بصيغه المختلفة في الآيات(4 5 8 9 13 14 18 20 21 23 28 29 31 35 41 44 45 47 48 51 54 55 56 61 63 64 67

[1] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ،ج16 ،ص81 .
[2] محمد الرازي : التفسير الكبير، ج21 ،ص216 .
[3] أبو القاسم محمد الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، مادة سلم
[4] أبو الحسن أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مادة كون
[5] الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن ، مادة كون

71 75 81 82) ـ متكررا في بعض الآيات أكثر من مرة ـ لزيادة المعاني قوة ،ودلالتها تأكيدا ويعبر بجلاء عن مدى تحقق الصفات بالموصوف .

ففي الآية :{ يا أبت لا تعبد الشيطن إن الشيطن كان للرحمن عصيّا}مريم44 ،زاد الفعل(كان) من تثبيت صفة العصيان للشيطان، وأكد على "أنه لا يفارق عصيان ربه وأنه متمكن منه فلا جرم أن لا يأمر بما ينافي الرحمة"[1].

3) تقوية وتأكيد العقائد الإسلامية:

ومن بين هذا العقائد المذكورة في السورة:

أ) وحده الله لا شريك له:

فقد تكررت الكلمتان (الرب ،عبده) تأكيدا لوحدانية الله ،وأنه الواحد الذي لا شريك له ولا نعبد إلا إياه فهو المختص وحده بالإلوهية، ففي قوله :{ذكر رحمة ربك عبده زكريا} مريم4، فنجد أن (ربك) وردت مقابل (عبده) لتأكيد ربوبية الله في مقابل عبودية الإنسان، ف" تضمّنت هذه الآية الكريمة العناصر الأساسية لموضوع سورة مريم وهي (الرب)و(العبد) و(الرحمة)، أي رحمة الرب لعبد هو حاجة العبد لربّه ،وكمال الرب جل جلاله في غناه عن كل ما هو سواه وفي رحمته وإحسانه لعبيده"[2].

وقوله تعالى :{ رب السموات والأرض } مريم65،فهو خالق هذا الكون والمسيطر عليه ومالكه . وتظهر قصديّة تأكيد الربوبية لله وحده بشكل أوضح على لسان بعض الأنبياء لخصوصيتهم كعيسى عليه السلام لأنه نُعِت بالإلوهية من قبل المشركين من أهل الكتاب، حيث زعموا أنه ابن الله، فهو يؤكد بشكل قاطع أنه عبد لله وأن الله رب الناس أجمعين ،قوله تعالى:{ وأن الله ربي وربكم فاعبدوه }مريم 56.

4) الإيمان بالأنبياء والرسل :

[1] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير،ج16 ،ص117 .
[2] الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن ،مادة كون .

فقد تكررت بعض الألفاظ في السورة لتبين أحد أهم العقائد الدينية وهي الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين،وأن سيّدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

فتكرر اللفظ (نبيّا) ليبيّن أن هؤلاء الأنبياء والمرسلين قد اختارهم الله عز وجل رافعا من مكانهم ومثنيا عليهم .

ففي قوله تعالى :{ وهبنا له إسحاق ويعقوب و كلّا جعلنا له نبيا} فقد أكد الله على نبوة كل من إسحاق ويعقوب و وكذلك عيسى وإثباط مزاعم المشركين بإلوهيته ،قوله تعالى :{ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا} مريم 30، وفي عون الله لموسى ومنّه عليه بهارون {ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا} مريم53 .

5) الالتزام بأخلاق الإيمان :

حيث نلاحظ في سورة مريم تكرر مجموعة من الصفات بعينها في مرات عديدة ،هذا لدعوة العباد للتحلّي بها ،ك:(التقوى)فهي حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترحك المحظور، قوله تعالى :{ثم ننجي الذين اتقوا ونظر الظالمين فيها جثيا}مريم72.

ومن نتائجها الوفادة الكريمة والاستقبال الحسن قوله تعالى:{يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا}مريم85، كذلك بر الوالدين والإحسان إليهما في لفظ(بر) في وصف الله ليحي عليه السلام:{وبرا بوالديه ولم يكن جبّارا عصيا} مريم17، ووصف عيسى نفسه :{وبرّا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا} 32.

ثانيا : انزياحية تكرار العبارات:

ويقصد بها تكرار الجمل أو الأجزاء من الآية ومعاني تكرار أكثر من كلمة في السورة ومنها :

1) التأكيد على مرجعية القرآن الكريم وحده في معرفة أخبار الرسل :

فنجد عبارة (واذكر في الكتاب) متكررة خمس مرات في السورة، بما يشير إلى القصد في التأكيد على مرجعية القران وحده دون غيره من الكتب السماوية في معرفة أخبار الأنبياء وقصصهم "وفائدة ذلك التنبيه إلى أن ذكر من أمرهم بذكره كائن بآيات القرآن "[1].

[1] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16 ، ص79 .

ولم ترد هذه العبارة في أي من سور القرآن الكرم عدا الآيات (16 41 51 54 56) إذ اختصّت هذه السور وحدها بزيادة (في الكتاب)بعد(واذكر)، فالمقصود بالكتاب في جميع العبارات المذكورة في آيات السورة هو القرآن الكريم، عدا عبارتان قد جاءت بمعنى التوراة في قوله :{ يا يحي خذ الكتاب بقوة } مريم12، وأخرى بمعنى الإنجيل قوله تعالى:{ قال إني عبد الله آتاني الكتب}مريم 30، ودلالة هذا أن كلاهما ـ التوراة والإنجيل ـ منزّل من عند الله .

2) التعبير عن حجم الانفعال وعمق التأثر:

وقد تكررت بعض العبارات غير مرة على ألسنة بعض الأشخاص لتدل بذلك على اثر هذه العبارات في نفوسهم ،وعلى عمق انفعالاتهم .

مثلما نجد في قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام حين دعا الله ليرزقه بالذرية الطيبة ، وكان من ضمن ما اشتكى منه عقر امرأته :{ وكانت امرأتي عاقرا } مريم5، فالعقر هو "استعقار الرحم ،وهو أن لا تحمل "[1]، فهي بهذا غير قادرة على الإنجاب .

وقد يبدو مستغربا أن زكريا عليه السلام قد أعاد ذكر عقر امرأته قائلا :{ وكانت امرأتي عاقرا} مريم8،حين أجاب الله دعوته ،لكن هنا بفرح وسرور، وغمرته بشعور عميق بعظمة الله وقدرته .

3) الطمأنة والإقناع :

ومن أمثلة هذا في بثّ الطمأنينة في قلوب المؤمنين، وإقناع الجاحدين تكررت عبارة (هو عليّ هين) مرتين في السورة ،إحداهما موجهة إلى زكريا عليه السلام والأخرى غلى مريم عليها السلام ،ففي قوله :{ هو عليّ هين } مريم9 وكان الهدف منها بث القدرة للنبي الكريم بقوة الله على بشارته له بالولد، فليس على الهين ولا الصعب، ونفس العبارة قد كانت موجهة لمريم :{ هو علي هين }مريم21 ،لكن هنا بغرض إزالة المخاوف .

4) ترغيب المؤمنين وتكذيب المشركين:

[1] الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن ،مادة عقر.

فقد تكررت عبارة (اتخذ عند الرحمن عهدا في سياقين مختلفين) في سياقين مختلفين إحداهما لتكذيب المشركين والأخرى لتكذيب المؤمنين ،ففي سياق تكذيب المؤمنين والسخرية من كذبهم قوله تعالى :{ أطّلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا} مريم 78، أي هل أطلعهم اله على الغيب أم لهم عند الله عهد سيؤتيهم ذلك "[1].

أما السياق الآخر فقوله تعالى :{ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا } مريم87،فجاءت هذه مستثنات لبيان إمكانية أن يتخذ المؤمنون عهدا عند الله بالشفاعة لغيرهم من المؤمنين ،فانزياحية تكرار العبارة (اتخذ عند الرحمن عهدا) في كونها في الأولى قد جاءت نقضا لكلام الكافر، فيما حركت أشواق المؤمنين ومبشرة لهم في الآية الثانية.

5) التهديد والوعيد :

فجاءت عبارة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) لتحقيق غاية إنذار الكافرين المتكبرين الذين يستحقون أن يكرر الإنذار على مسامعهم ، في الآية (74. 98) للحد من كبريائهم ،والتقليل من شأنهم ،قوله تعالى:{ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا} مرم74،"فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء "[2]، وقد تكررت العبارة في معرض التهديد للمشركين في قوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع له ركزا} مريم98، في تخويفه لأهل مكة، وجاءت هذه الآية في ختام السورة ليضلّ أثرها عالقا في أذهان السامعين .

المبحث الثاني: الانزياح الدلالي

ما يلاحظ في النص القرآني حديثه عن بعض المعاني المذكورة فيه بطريقة غير مباشرة ،إذ نجده يريد إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، بل يلجأ إلى لفظ آخر موضوع لمعنى آخر، ولكنه تابع للمعنى الذي يريده فيعبّر بهذا اللفظ عمّا يريد، لعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد، وهذه الطريقة التي يوظفها النص القرآني في التعبير عن المعاني تندرج تحت ما يسمّى ب**الانزياح الدلالي**، فالبحث في الدلالة والمستوى الدلالي بكل

[1] عبد الحميد كشك: في رحاب التفسير،المكتب العصري الحديث ،القاهرة، ص 2350 .
[2] السيوطي : تفسير الجلالين، ص310 .

أشكاله وتفرعاته الواسعة إحدى مطالب الدراسة، " فعملية الكلام لها جانبان :أحدهما مادي ،وهو الأصوات المنطوقة ،والآخر عقلي (المعنى) وهو المقصود، وعلى هذا يجب أن يسير التحليل اللغوي في خطين متوازيين "[1].

أ- دلالة الألفاظ ومميزاتها في السورة :

وهو ما يسمى علم الدلالة المفردي أو المعجمي ، فلقد اهتمت المعاجم بتقرير معاني الكلمات أومن خلال سياقاتها، ولكن يبقى السياق فو الفيصل في تحديد الدلالة والمعنى، فالمعنى لا يمكن وصفه بمفرده بل ضمن علاقته بالكلمات الأخرى وأحيانا بكل الجملة ، وفيما يأتي بعض سمات ألفاظ السور ومميزاتها مصحوبة بأمثلة :

1) دقة الاختيار :

وإن كانت كل ألفاظ القرآن الكريم قد وقعت في مكانها المناسب ،وعبرت عن المطلوب تعبيرا دقيقا وتتجلى هذه الميزة في مظاهر عديدة في السورة منها:

أ) لا يمكن استبدال لفظ دون أن يختل المعنى :

فلو حاولت أن تستبدل بلفظ القرآن أي لفظ آخر لن تجد ما يناسب ويعبر عن المعنى بالدقة نفسها مهما كان قريبا من ناحية المفهوم ، كلفظ (عتيّا) الذي ورد على لسان زكريا عليه السلام، متسائلا : كيف له أن يرزق بولد في هذه السن المتقدمة من العمر؟: { وقد بلغت من العمر عتيّا}مريم 8، والعتيّ:" المبالغة في الكبر أو يبس العود أو شيب الرأس "[2]، وهي مشتقة من الفعل عتا:" عتا الشيخ عُتيّا وعتيّا، فتح العين: أسن وكبر وولىّ"[3]، ومن معانيها أيضا: تجاوز الحدّ والتمرد والخروج عن السيطرة.

وجاء هذا المعنى في السورة نفسها، قوله :{ ثم لننزعنّ من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيّا } مريم69، وجاء في اللسان :عتا :"استكبر وتجاوز الحد "[4].

---

[1] أولمان ستيف: دور الكلمة في اللغة ،ترجمة :كمال بشر ،ط1 ،دار غريب للطباعة والنشر القاهرة ،ص37 .
[2] أبو محمد الأندلسي : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ،ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ،1993 ،ص6 .
[3] ابن منظور : لسان العرب ،مادة عتا
[4] نفسه :مادة عتا .

وهكذا ارتبط معنى الكلمة بالاستكبار المقترن بالعصيان والتمرد والخروج عن الطاعة.

ب) التمييز بين ألفاظ الحلال والحرام :

حيث حرص القرآن الكريم على التعبير عن معانيه باللفظ المناسب لكل معنى ومثال هذا قوله تعالى على لسان مريم :{ قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيّا } مريم20 فالعبارة (ولم يمسسني بشر) كناية عن العلاقة الزوجية المشروعة، وأمّا في الثانية (ولم أك بغيّا) فهي تعبير مباشر عن فاحشة الزنى، وهذا ما التفت إليه الزمخشري الذي رأى أن القرآن ط جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال، لأنه كناية عنه ،كقوله تعالى :{ من قبل أن تمسوهن } البقرة 237، والزنى ليس كذلك وإنما يقال فيه ك فجر بها وخبث بها وما أشبه بذلك ، وليس بِقَمِنٍ أن تراعى الكتابات والآداب " [1].

ج) لها قوة تأثير في نفوس السامعين :

فيختار القرآن الكلمة المناسبة للسياق بدقة وعناية ،فيكون نتيجة ذلك أن تؤثر في نفس السامع ،وتتركه واقعا تحت معناه ،وظلال دلالتها، قوله تعالى :{ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا } مريم90، فقد جاءت هذه الآية في سياق الردّ على الكفرين الذين ادّعوا للرحمن ولدا، ومعناها" أن هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الأجرام العظام ، وتفرقت أجزاؤها من شدتها، أو أن حقّ تلك الكلمة لو فهمتها تلك الجمادات العظام أن تتفطّر وتنشق وتخرّ من فظاعتها "[2].

ولنتأمل في التأثير الذي يتركه الفعل (تكاد) في الآية و الذي يشعر السامعين بأن هذه الجرام تتحفز للسقوط ، وأنها عمّا قريب ستتشقق وتتفطّر ، وأنها على وشك الدمار والانهيار غضبا من قولة الشرك، حتى إن محمد ابن كعب حين سمع هذه الآية أحس بذلك فقال: " لقد كاد أعداء الله أن يقيموا علينا الساعة و لقوله تعالى :{ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولد} مريم 90، قال ابن العربي و وصدق ، فإنه قول عظيم

[1] الزمخشري : الكشاف،ج3 ،ص9 .
[2] أبو الفضل شهاب الدين الأندلسي: روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني،ج15،ص440 .

"[1]، فنجد أن ابن كعب قد وقع في نفسه تأثير هذه الآية وفهم المرجو منها فعلم أن أعداء الله كادوا بعدم فهمهم لهذه الآية أن ينزلوا غضب الله.

2) تنوع الدلالات دون تناقضها :

فنجد للفظة القرآنية الواحدة ـ في بعض الأحيان ـ دلالات مختلفة تتكامل ولا تتناقض ، وتثري المعنى ولا تنقضه،" فهي تحتضن في وقت واحد هذه الدلالات ، لتقدم لكل عصر أو فئة من الناس ما هو أقرب إلى مألوف ذلك العصر ، أو ثقافة أولئك الناس، وجميعها دلائل صادقة صحيحة "[2] ،فمن هذا قوله تعلى :{ قد جعل لربك تحتك سريّا ؤ مريم 24 ، فكلمة (سريا) تعني " الجدول من الماء كالساقية ،والنهر سميَّ سريّا لأن الماء يسري فيه" [3].

وهي " مشتقة من السرو ، أي الرفعة ، يقال رجل له سروّ، قال وأشار بذلك إلى عيسى عليه السلام ،وما خص به من سروّه "[4].

هذا بالإضافة إلى أن لجذرها الأصلي معنى لغوي ثالث، ويتمثّل في انكشاف الهم وزوال الغمّ "وسري عنه : تجلّى همّه، و انسرى عنها الهم ، انكشف، وسري عنه مثله "[5].

ولنتأمل في السياق الذي وردت فيه هذه الكلمة و التي جاءت لغرض بث السلوى في نفس مريم والتخفيض من حيرتها، وطمأنة نفسها، وقد أشار الزمخشري غلى هذا الغرض فقال :" أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين: إحداهما: الأكل والشرب و والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين "[6]، فالغاية إذن أن تسلو مريم وتطمئن نفسها بما تراه من معجزات ربها .

---

[1] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ،ج11 ،ص 158 .
[2] محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل،مؤسسة الرسالة ،بيروت ، 1996 ص142 .
[3] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوين\ر،ج16،ص94 .
[4] الأصفهاني :معجم مفردات ألفاظ القرآن ،مادة سرو .
[5] ابن منظور: لسان العرب ، مادة سرا .
[6] الزمخشي : الكشاف ،ج3 ،ص13.

"وللنظر بعد هذا إلى هذا الانسجام الظاهر بين غرض الآية المتمثل في دفع الحزن والهم عن مريم عليها السلام وبين مجموع المعاني المختلفة التي سبق ذكرها للكلمة (سريا) فكل هذه المعاني ورغم اختلاف دلالتها فإنها تؤدي الغرض نفسه المتمثل في التخفيف عنها "[1].

وقد تنوعت الجوانب الدلالية في السورة بمجموعة من أشكال العلاقات الترابطية بغرض الكشف عن شيء من أسرار التعبير القرآني وأسراره ،ومن بين هذه العلاقات الترابطية نجد:

ب- المشترك اللفظي :

المشترك اللفظي هو أن نجد للفظ الواحد عدة معاني أخرى مختلفة فقد "حدّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال معنيين مختلفين فأكثر"[2]، وهذا راجع إلى طبيعة اللغة المتطورة ودخول اللغة في الاستعمال المجازي، ولذا فإن المعاني المتعددة للفظ الواحد يظل بينها رابط ما ،يبقي علاقة بين تلك المعاني، وهو ما سنجده من علاقة بين الألفاظ في سورة مريم وأثرها على الناحية البلاغية بما ينشأ عنها من علاقات تبادلية في بناء النص ،والتي من بينها نجد :

1) القصد في اللفظ وقوة البرهان :

فنجد اللفظ الواحد في سياقات مختلفة، وتكون بعضها داعمة في معانيها للسياقات الأخرى ، وهذا لما يتميز به اللفظ من ما عن واضحة القوة ،بينة الدلالة على عظمة الخالق وقدرته .

فكلمة (آية) مثلا نجدها قد جاءت في السورة عدة مرات بصفة الجمع والإفراد وبمعان مختلفة ،ففي قوله تعالى :{ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألاّ تكلم الناس }مريم، جاءت هنا بمعنى العلامة " أي علامة على حمل امرأتي"[3].

وجاءت (آية) بمعنى القدرة في قوله تعالى :{ ولنجعله آية للناس ورحمة من وكان أمرا مقضيا} مريم 21، أي نجعله آية للناس بمعنى " على قدرتنا" [4].

[1] معين رفيق أحمد صالح : دراسة أسلوبية في سورة مريم، ص73 .
[2] جمال الدين السيوطي: المزهلر في علوم اللغة ، ج1 ،ص369 .
[3] نفسه : ص 305.
[4] نفسه،ص306 .

ووردت بمعنى كلام الله وكلمات القرآن في قوله تعالى:{ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدا وبكيّا} مريم58، أي" إذا سمعوا آيات ربهم تتلى تأثّروا تأثّرا عظيما ، يحصل منه لبعضهم البكاء والسجود"[1]، ونفس المعنى في قوله :{ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديّا } مريم 73، فالمعنى هنا أن "كفار قريش كانوا إذا تلى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هذا القرآن...عارضوها"[2]، ونفس المعنى للكلمة (آية) في قوله :{ أفرأيت الذين كفروا بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا } مريم 77.

ومن خلال هذه السياقات المختلفة لهذه الكلمة اكتسبت كلمة (آية) التي هي بمعنى كلام الله مزيدا من الحجّة والبرهان والقوة والبيان ،لأن ماجاء من كلام الله في القرآن الكريم، إنما هو (آيات) دالّة على قدرته ووحدانيته، وبما أن (آيات) الله حجة وقوة وعلامة على إشارات على عظمة الخالق، حريّ بالمؤمن التقي أن يتأثر بها ويخر ساجدا باكيا لله وحده .

2) إظهار قدرة الله عز وجل وعظمته:

ورد الفعل (جعل) في سورة مريم بصيغ مختلفة جاءت كلّها للتعبير عن شمول قدرة الله عزّ وجل وعظمته، وقد جاء في تسع آيات بصيغ مختلفة لم تتسابه أي واحدة مع غيرها (جعل يجعل سيجعل إجعل جعلني سيجعلني نجعل لنجعلنّه جعلنا)، ومن معاني جعل في لسان العرب لابن منظور : "جعله :صنعه ،وجعله صيّرهُ ...وجعل عمل وهيأ، وجعل خلق" [3].

وقد جاء هذا اللفظ بمعان متعددة في آيات السورة ، ففي قوله تعالى :{ قال رب اجعل لي آية } مريم 10، أي هيئ لي علامة " تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل "[4].

وفي الآيات :{ واجعله رب رضيا } ،{ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت } مريم 30.31، { وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا} مريم32 ،{ ووهبنا له

[1] محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالفرآن،ج4 ، أخرج الأيات وأحاديثه محمد عبد العزيز الخالدي ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1996 ، ص 83 .
[2] نفسه :ج4 ،ص231 .
[3] ابن منظور : لسان العرب ، مادة جعل .
[4] الأصفهاني معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة جعل .

إسحاق ويعقوب وكلّا جعلنا نبيا} مريم 49، كلها قد جاءت فيها معاني (جعل) بمعنى تصيير الشيء على حالة معينة .

وجاءت بمعنى أوجد في قوله تعالى :{ يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحي لم نجعل له من قبل سميا } مريم 7، " أي مسمى بيحي"[1] ، فلم يكن أحد قبله مسمّى بهذا الاسم ،وبمعنى الخلق في قوله تعالى :{ إن اللذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا } مريم96 ،أي يخلق لهم في صدور المؤمنين مودّة فيما بينهم يتوادّون ويتحابون ويحبهم الله تعالى .

وجاءت أيضا بمعنى إظهار قدرة الله عز وجل ومعجزاته وعظمته ،قوله تعالى :{ ولنجعلنه آية للناس ورحمة منا} مريم 21، وقوله :{ فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا} مريم24، ففي الآية الأولى معجزة الله لعيسى، والثانية قدرته في جعله لمريم فتى نبيا هو عيسى عليه السلام .

ج- الترادف :

الترادف هو ما اختلف لفظه واتفق معناه ،فهو كما عرّفه السيوطي:" الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد "[2]، فهو إذن عبارة عن تعدد الألفاظ بمعنى واحد أو دلالة عدة كلمات مختلفة تدلّ على مسمى واحد .

وتكن انزياحية القول بالترادف في أنه وثيق الصلة بدقة اختيار الألفاظ في القرآن الكريم التي تتعارض مع القول بالترادف في ألفاظه، لأن هذه الألفاظ قد اختيرت بعناية ويؤدي الواحد منها المعنى المطلوب على أكمل وجه ومن جميع النواحي وفيما يلي مجموعة من الألفاظ المأخوذة كأمثلة من هذه السورة والتي تناولناها بالدراسة :

(غلام) و(ولد) :

ولننظر كيف جاءت كلمتا (غلام) و(ولد)، حيث أننا لا نستطيع الاستبدال بينهما، ولوجود فروق دقيقة بين اللفظين و فالغلام هو :" الطَّارّ الشارب ، يقال غلام بين الغلومة والغلومية"[1]

[1] السيوطي : تفسير الجلالين ، ص305 .
[2] السيوطي : المزهر في علوم اللغة

،"ولذلك فهو يطلق على من أوشك على الإدراك والبلوغ ،ف" العين واللام والميم أصل صحيح يدل على حداثة وهيج شهوة، من ذلك الغلام، هو الطارّ الشارب وهو بين الغلومية والغلومة ،والجمع غلمة وغلمان، ووردت لفظة (غلام) في قوله تعالى :{ يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحي لم نجعل له من قبل سميّا قال أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا } مريم87، وفي قوله: { قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلام زكيا، قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر} مريم19-20[2].

أما كلمة (ولد) فمعناها :" الولد المولود ...قال أبو الحسن: الولد الابن والابنة، والوُلْد هما الأهل والولد".

وجاءت في قوله تعالى:{ ماكان لله أن يتّخذ من ولد سبحانه، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون } مريم 35.

"وجاء إيثار (الغلام) على (الولد) في الآيات (7 8 19 20) لما تحمله كلمة (الغلام) من معنى أعمق وبشرى أرحب من بشرى الولد، ولما فيها من زيادة للمعنى تتمثل أولا في بشرى الأخيار بأن زكريا سيرزق ولدا ، وكذلك الأمر بالنسبة لمريم ـ عليها السلام ـ ،وثانيا : في كون هذا الولد الذي سيرزقه زكريا ، والآخر الذي ستُرزقه مريم عليها السلام ، سيعيشان ويكبران حتى يصبحا غلامين طارّي الشاربين "[3].

(تنشق) و(يتفطرن) :

جاءت لفظة (تنشقّ) و(يتفطرن)في قوله تعالى :{ تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشقّ الأرض وتخر الجبال هدّا} مريم 90، " والانفطار والانشقاق شبيهان في المدلول مختلفان في الدّال لكلّ منهما، وإن خصّ الله عز وجل الانفطار بالسماوات والانشقاق بالأرض، ولكن ورد في موقع آخر من القرآن الكريم في سورة الانشقاق قوله :{ إذا السماء انشقّت }، والله عز وجل قد صوّر هنا فداحة ما ينطق به الكفّار والمشركون بأن لله عزو وجل (ولد) ـ سبحانه وتعالى

[1] الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القران ، مادة غلم.
[2] بتصرف : معين رفيق احمد صالح: دراسة أسلوبية في سورة مريم،ص 81 .
[3] المرجع نفسه: ص 81.

عما يقولون فقد بين الله وكأن للجماد شعورا وحياة واحساسا، إذا السماوات والأرض ستتشقّق من هول مايقولون "[1].

وتتجلّى انزياحة هذا الاسلوب في" أن الإنسان يجرؤ على مالا يجرؤ عليه أي كائن في الأرض ولا في السماء، فلقد تجرّأ على خالقه وهو يعيش في كَنفه، فنسب غليه ما تتشقق السماء وتخسف الأرض وتنهد الجبال بمجرد سماعه، وأن تلك الغضبة الإلهية ليست على فرد أو جماعة معدودين، وإنما هية على ذلك الشرك الذي أصبح دينا وعقيدة تدين بها مئات الملايين جيلا بعد جيل..."[2] .

(أحصاهم) و(عدّهم):

قال تعالى: { لقد أحصاهم وعدّهم عدّا }مريم94 ، فنجد اللفظان (أحصاهم)و(عدّهم) كأنهما مترادفان ، "فأمّا الإحصاء" التحصيل بالعدد ...قوله تعالى :{ وأحصى كلّ شيء عددا } الجن 28، أي حصّله وأحاط به "، فتشمل (أحصاهم)على معنى الإحاطة بالإضافة إلى معنى العدّ، وأما العدّ فلا يتضمن معنى الإحاطة وإنما يعني ضمّ الأعداد بعضها إلى بعض، فدلت (أحصاهم) على معنى الإحاطة بهم وتحصيلهم وجاءت (عدّهم)ـ بعد ذلك ـ كمرحلة ثانية أكثيرا أكثر تفصيلاً ، حيث تجري فيها عملية عدّ هؤلاء بطريقة يُفهم منها أنه سبحانه لا يفوته شيء من أحوالهم، ولا يخفى عليه واحد منهم ف"كلّهم تحت أمره وتدبيره وقهره وقدرته ،فالله محيط بهم ويعلم مجمل أمورهم وتفاصيلها، أي لا يفوته شيء من أحوالهم "[3].

د- التضاد :

ورد في كتاب العين :" الضدّ كل شيء ضاد شيئا ليغلبه ،السواد ضد البياض ، والموت ضد الحياة ، هذا ضدّه وضديده ، والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذاك"[4].

[1] فيصل حسين طحيمر غوادرة : المستوى الدلالي في سورة مريم/ جامعة القدس ، ص19 .
[2] نفسه : ص 19 .
[3] ينظر: معين رفيق أحمد صالح: دراسة أسلوبية في سورة مريم،ص 80 .
[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي : معجم العين :تحقيق مهدي المخزومي وآخرين ، دار مكتبة الهلال ، مادة ضد .

وهو نوع من أنواع البديع، ويسمى المطابقة، وأكثرهم على أن معناها أن يذكر الشيء وضده كالليل والنهار والسواد والبياض، وفي مجمله فهو الإتيان بالنقيضين .

ويمكن تناول التضاد والمقابلة معاً دون أن نفصل بينهما لأنهما من حيث الموضوع شيء واحد في الغالب، ولأن أغلب معانيهما تكاد تكون متشابهة، ومن دلالات انزياحية التضاد في السورة نجد ما يلي :

1) تقوية المعنى وإبرازه:

فمن أمثلة التضاد في السورة نجد التضاد بين(ولد) و(يموت) قد جاءا في قوله تعالى:{ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا}مريم15،وكذلك بعد اختلافهما في الصيغة (ولدت)و (أموت) في قوله تعالى:{ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّا} مريم33، فنجد أن هذا التضاد بين اللفظين قد جاء لغرض تقوية المعنى وإبرازه بمتانة أكبر، مبينا للسلام من الله على زكريا وعيسى ـ عليهما السلام ـ يوم ولدا ويوم يموتا ويوم يبعثان حيّين من قبريهما .

2) الترغيب والتنفير من خلال الوعظ الإرشاد:

فجاء التضاد بهدف المقارنة بين المؤمنين وصفاتهم ،ومابشّرهم به الله من خير ،وبين الكافرين وجزائهم ، فنجد الفعلين (كفروا)و(آمنوا) في قوله تعالى:{ وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا } مريم72، "فالتعبير بـ(الذين) كفروا) لا بـ(قالوا) للتنبيه على كفرهم حين قالوا ذلك، وفي المقابل جاء التعبير (للذين آمنوا) لبيان أنهم هم المقصودين والمستهدفون بقول الكافرين، كما أن في وصفهم بالإيمان شهادة من الله سبحانه لهم على صحة اعتقادهم، وفي هذه الشهادة الإلهية تخفيف عنهم ، وتثبيت لهم أمام شبهات الكافرين وأقوالهم بحقهم، فلا يبالون بشيء مادام الله شهد لهم بالإيمان"[1].

ومن الألفاظ المتضادة والتي جاءت بهدف المقارنة بين المؤمنين والكافرين من حيث العاقبة أو المصير،ومن حيث الهداية أو الضلالة، نجد مجموعة من الألفاظ المعبّرة عن الهداية في حق المؤمنين (اهتدوا هدى أهدك هدينا) قد جاءت في الآيات :{ فاتبعني أهدك صراطا سويا}

[1] معين رفيق احمد صالح : دراسة أسلوبية في سورة مريم ، ص94 .

مريم43، و{ ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا}مريم58،وقوله:{ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) مريم76، ومن الألفاظ المعبّرة عن الضلالة (ضلال الضلالة) وقد وردتا في قوله(لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين}مريم 38، وقوله:{ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّا} مريم75.

ويهدف التضاد من هذه المقارنة بين المؤمنين والكافرين إلى تزيين طريق الإيمان وفضح طريق الكفر ،بما يحمله وصف الهداية من ترغيب بالإيمان بوصفه اهتداء للطريق القويم والحق ، والصراط المستقيم وبما يحمله وصف الضلال من التنفير من الكفر بوصفه انحراف وابتعاد عن الطريق الحق"[1].

3) الاحاطة والشمول:

وقد يفيد التضاد ـ كذلك ـ في تحقيق معنيي الإحاطة والشمول ،وتأكيد السيطرة على الأشياء المختلفة جميعها، كما في التضاد مابين (بين أيدينا) و (ماخلفنا) في قوله تعالى: { له مابين أيدينا وماخلفنا ومابين ذلك} مريم64، ومهمّته هنا ـ التضاد ـ في تحقيق معنى إحاطة مشيئة الله بمخلوقاته، بما يشعر المتلقي بالتسليم المطلق لله سبحانه وتعالى لأنه أينما نولي فثمّة وجه الله " فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ،ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك ومشيئته"[2]، ويفيد التضاد في الدلالة ليبين الشمول والعموم في الآية :{ تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّا } مريم 65، فقد دلّ التضاد في هذه الآية بين (السماوات) وبين (الأرض) على حالة الغضب العارم والاهتزاز الشامل الذين كاد يعمّان جميع الأجرام السماوية من جراء قول الكافرين، حين نسبوا إليه الولد ـ سبحانه وتعالى عمّا يفترون ـ[3] .

[1] المرجع السابق : ص 94 .
[2] نفسه: ص 99.
[3] نفسه،ص99 .

الخاتمة

الخاتمة :

وأخيرا رست سفائن البحث على شواطئه بعد رحلة العناء الجميل، والبحث المنير الذي أماط اللثام عن الكثير من الإنزياحات اللغوية في سورة مريم، والذي يعود سرّ تميز البنية اللغوية فيها أساسا إلى الاستخدام الخاص لها، وقد أفرز البحث كثيرا من النتائج سواء على مناهج الدراسة المعتمدة أو على مستوى الخصائص الإنزياحية المميزة للإعجاز القرآني من خلال سورة مريم .

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة التي تحمل عنوان :" ظاهر الانزياح اللغوي في سورة مريم ويمكن إجمالها فيما يلي :

1. إن القرآن الكريم وهو نص إسلامي رئيس يستوعب ما جاء به الغربيون وهو خير نموذج تطبيقي لآراء الباحثين في الأسلوبيات الحديثة، وأن هذه الأسلوبيات الحديثة وعلى زعم زعمائها أنها وليدة الفكر الغربي، متجذرة في التراث العربي .
2. مصطلح الانزياح هو المصطلح الكفيل بالتعبير عن معنى الخروج عن المألوف، على أننا عرضنا لجملة من المصطلحات وردت في كتب التراث وتحمل على نحو خفي مفهوم الانزياح، كما أن الغوص في هذه لظاهرة ينمُّ على أن هذا المفهوم لم يغب عن أذهان النقاد القدماء بل كانت له أصول في تراثنا النقدي والبلاغي، فكان التأصيل للانزياح تبعا لهذا الأساس .
3. وظّف التعبير القرآني أصوات المدّ و الجهر والهمس والتفخيم، توظيفا يقصد على تصوير المواقف وتشخيصها تشخيصًا يشعرنا بما تحمله هذه الأصوات من دلالات ومعان، وأن هذا النظام الصوتي جاء حاويا تشكيلات صوتية بما فيها من طاقات نغمية وشحنات متوازنة ومقصودة في إيقاعها، وقد بقيت فيها عشرات الآيات محتفظة بموسيقاها الواضحة على الرغم من مخالفتها لنظام توالي المقاطع الذي يمنح النصوص موسيقاها ، مما أضافت على النص القرآني أجواء نفسية مؤثرة.
4. تميزت السورة الكريمة بمعان أفادتها الصيغ الصرفية للأسماء والأفعال، وتميزت بتراكيب نحوية وضحت المقاصد الكبرى للسورة، نحو دحض مزاعم الكافرين وذكر

الحقائق لقصص بعض الأنبياء، ووعيد المشركين وتهديدهم وما ينتظرهم، وجزاء أهل الجنة وما ينتظرهم من خير وفرح .

5. الحديث عن ظاهرة الانزياح اللغوي يحفز على البحث عن البنيات التركيبية اللافتة ، الأمر الذي يسهم باستمرار في تجدد العطاء الفني للأساليب، أسهم التقديم والتأخير والتكرار في الانحراف بنظام الجملة عن ترتيبها المألوف إلى مستويات وتراكيب أخرى، والتأكيد على بعض المعاني الأخرى، تجلّى أثرها في تجديد تجربة المتلقي بالنص القرآني ونسيجه الجديد
6. اختار القرآن الكريم التعبير بالصورة عن المعاني التي أراد إثباتها في ذهن المتلقي ،فنقل له الأفكار والمعاني بصور حسية، وقد تضافر التصوير المعتمد على الحقيقة، والتصوير البلاغي المعتمد على التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية في تشكيل الصور الفنية في السورة، وعلى الرغم من تعدد هذه الصور الفنية، إلا أنها قد ارتبطت جميعها بملامح مشتركة أبرزت التناسق الفني بينها .
7. إعجاز القرآن يعمّ ما تطرقنا إليه في دراستنا القصيرة، وإعجازه فوق ما تدركه عقولنا ، وما عالجناه لا يكون إلا ندى في محيط اللانهاية من إعجاز في كلام الله عز وجل ودقة وبراعة في الاختيار لكل الظواهر الإنزياحية في القرآن .

هذه أهم النتائج والملاحظات الختامية التي انكشفت لنا خلال رحلتنا البحثية هذه، مع الكثير من النتائج والملاحظات التي عزفنا عن ذكرها تفاديا للتكرار، وفي الختام فإني أحمد الله على مدده وعونه وتوفيقه، وأسأله جل وعلا أن يغفر لي ما في هذا العمل من نقص أو تقصير، فقد اجتهدت وبذلت ما أحسب أني قد أديت فيه واجب البحث والدراسة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

*- **القرآن الكريم**

*- **الحديث النبوي الشريف** ، (صحيح مسلم والبخاري)

*- **تفسير الجلالين**، جلال الدين السيوطي، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان.

1. ابراهيم جواد : الاتجاهات الاسلوبية في النقد العربي الحديث،دار المكتبة الوطنية عمان، ط1 ،1996 .
2. ابن جني:الخصائص: (تح) محمد علي النجار، دار الكتب المصرية العامة،ج1 (د،ت)،ط3، 1999.
3. ابن منظور، محمد ابن مكرم: لسان العرب: دار صادر – بيروت، لبنان، ط1، 1995.
4. أبو محمد الأندلسي: المحرر الوجيز في الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي،دار الكتب العلمية بيروت، ج4، ط1 ،1993 .
5. أبو الفضل شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،قرأه محمد حسين العرب، دار الفكر للطباعة والنشر،لبنان،1994 .
6. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن ،تحقيق السيد أحمد صقر،دار المعارف ـ القاهرة ،ط5.
7. أبو بشر بن عثمان سيبويه:الكتاب:تحليل عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي ـ القاهرة،ج3 ،1988.
8. أبو القاسم محمد الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن،ضبطه وصححه ابراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت،ط1 ،1997 .

9. **أحمد بن فارس** : مقاييس اللغة، ج3 تحليل: عبد السلام محمد هارون، **إتحاد الكتاب العرب ،دمشق** ،2002 .
10. الخليل بن أحمد الفراهيدي : معجم العين ،تحقيق مهدي المخزومي وآخرون ، دار مكتبة الهلال
11. السكاكي،يوسف بن أبي بكر : مفتاح العلوم مصطفى البالي الحلبي ،ط2 ،1990 .
12. الفيروز أبادي محمد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ،دار إحياء التراث ،بيروت .
13. القرطبي،أبو عبد الله محمد ابن أحمد : الجامع لأحكام القرآن ،صححه أحمد عبدالعليم البردوني ،دار الكتبا العربي للطباعة والنشر،ج10 ،ط2 ،1967 .
14. أرسطو طاليس: فن الشعر ترجمة عبد الرحمن بدوي،دار الثقافة ،بيروت لبنان .
15. أحمد درويش: النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة .
16. أحمد محمد ويس: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1 ،بيروت لبنان،2005.
17. أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، ط1 ،دار السلام :مطبعة المدينة ، 1983 .
18. أنيس إبراهيم : موسيقى الشعر ، ط1 ،دار القلم بيروت ، 1972 .
19. أولمان ستيف : دور الكلمة في اللغة ،ترجمة كمال بشر،ط1، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة .
20. بوخاتم مولاي علي: مصطلحات النقد العربي السيماوي الإشكالية والأصول والامتداد، اتحاد العرب الكتاب، دمشق،2002 .
21. تمام حسان : مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، المغرب، 1986 .
22. جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ،
23. جون كوهن :النظرية الشعرية :تح:أحمد درويش ،دار غريب القاهرة ،ط1، 1999 .

24. جون كوهن: بنية اللغة الشعرية :رج:محمد الولي العمري، دار بوقال، المغرب، ط1، 1986.
25. راضي عبد الحكيم: نظرية اللغة في النقد العربي، المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة،ط1 ،2003 .
26. ربابعة موسى : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع إربد، ط1 ،2003 .
27. رولان بارت : الكتابة من درجة الصفر، تج محمد نديم خشبفة، مركز الإنماء الحضاري، ط1 ،2002 .
28. زروالي زهرة : مصطلح الانزياح بين البلاغة والأسلوبية ـ دراسة مقارنة ـ
29. سامح الرواشدة : فضاءات شعرية دراسة في ديوان أمل دنقل، المركز القومي للنشر إربد ،ط1، 1999 .
30. سليمان فتح الله أحمد : الأسلوبية مدخل للنظرية ودراسة تطبيقية، الدار العنية للنشر والتوزيع،
31. سيد قطب : التصوير الفني في القرآن،دار الشروق ، القاهرة ،ط8 ،1983 .
32. سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق ،مصر ،ط16، 1990 .
33. شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية و النقدية عند العرب والغربيين، المجلس الوطني للثقافة والفنون ـ الكويت.
34. شرف الدين الراجحي :مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة ،2003 .
35. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان بيروت، ط1، 1996.
36. صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته،مؤسسة مختار للنشر والتوزيع،1992 .
37. صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد العربي ، دار الشروق القاهرة ،1998.
38. عبد الله راجع : القصيدة المغربية بنية الشهادة والاستشهاد،ج1، دار قرطبة المغرب، ط1 ،1987 .

39. راضي عبد الحكيم : نظرية اللغة في النقد العربي، المجلس الأعلى للثقافة –القاهرة ، ط1، 2003.
40. عبد الحميد كشك : في رحاب التفسير،المكتب العصري الحديث ،القاهرة
41. عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتب الجديدة لبنان،ط1 ،2006.
42. عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت،ط1 ،1983.
43. عبد السلام المسدي : ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس ،1994 .
44. عبد الصبور شاهين : المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي،
45. عدنان بن رذيل: النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق،ط1 ،1989.
46. عيون السود الزمخشري : أساس البلاغة: تح محمد باسل ودار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط1 ، 1989.
47. لخوش جار الله حسين: البحث الدلالي في كتاب سيبويه، المكتبة الأردنية الهاشمية ودار دجلة،ط1 ،2007 .
48. مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ،ترجمة عبد الصبور شاهين، تقديم محمد عبد الله دراز ومحمود شاكر ، دار الفكر - دمشق ، ط4 ،1987 .
49. محمد الأمين الحضري : من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، مكتبة وهبي القاهرة ،1989 .
50. محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي : الصحاح ، دار الحداثة ، ط2 ،1983.
51. محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون:الأسلوبية والبيان العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، مصر،ط1 ، 1992 .
52. محمد عبد المطلب : جدلية الافراد والتركيب في النقد العربي القديم،مكتبة الحرية الحديثة، 1984 .

53. محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية لوجمان،مصر ،1994 .
54. محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ، دار القلم للطباعة والنشر ، 1957 .
55. محمد خان : اللهجات العربية والقراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط، دار الفجر للنشر والتوزيع ،2002 .
56. محمد الأمين الشنقيطي : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،ج4 ،أخرج الآيات وأحاديثه محمد عبد العزيز الخالدي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت ،1996.
57. محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1996 .
58. محمد الطاهر ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ،الدار التونسية للنشر،ج16 .
59. محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا ،منشورات وزارة الثقافة ،دمشق ، ط ، 1989 .
60. مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار المنار ، القاهرة ، ط1 ،1997 .
61. مليكة النوي : مقارنة بين الأسلوبية ونظرية النظم ـ رسالة دكتوراه ـ جامعة باتنة ، 2008 ـ2009 .
62. منير سلطان : بلاغة الكلمة والجملة والجمل ،منشأة المعارف الإسكندرية ،ط1 ،1988 .
63. نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ،منشورات دار الأدب، بيروت ،1962 .
64. نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث،ج1 ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ـالجزائر ،1997 .
65. هدية جبلي : ظاهرة الانزياح في سورة النمل دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير جامعة قسنطينة ،2006 .
66. ياسين الحافظ : إتحاف الطرف في فن الصرف،تق: محمد علي سلطاني، دار العصماء دمشق،ط1 ،2008.

67. يوسف أبو العدوس:الأسلوبية الرؤية والتطبيق،دار الميسر للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن ،ط1 ، 2007 .

68. يوسف وغليسي : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف ، بيروت –الجزائر،ط1 ،2008 .

المجلات والدوريات:

1-احمد محمد ويس : الانزياح وتعدد المصطلح ،مجلة عالم الفكر ،مج25 ،العدد3 ،جانفي / مارس،1997 .

2-أحمد درويش: الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح وأصول البحث ومباحثه ، مجلة فصول، المجلد5، العدد1 .

3-افرين زارع : الإعجاز البياني للقران الكريم من خلال أسلوبية الانزياح ،مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابهاالعدد 5، 2011.

4-خليل عودة : المنهج الأسلوبي في دراسة النص،مجلة النجاح للأبحاث ، المجلد 2 ، العدد 8 ، 1994.

5- عبد السلام المسدي : المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال"البيان والتبيين للجاحظ" مقال حولية الجامعة التونسية، العدد 13 ،

6- عز الدين صحراوي : اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية ، مجلة العلوم ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، العدد5 ، فيفري 2004 .

7-جمال حضري : ظاهرة الانزياح في شعر جمال عبد الصبور،ماجستير، جامعة الجزائر،1999-2000 .

عبد القادر البار: الانزياح في محوري التركيب والاستبدال ـ مجلة الآداب واللغات ـ قاصدي مرباح ،العدد9

8-خان محمد : بنية الخطاب الشعري الايقاع والمعنى، محاضرات السيمياء والنص الأدبي ، محاضرات الملتقى الثالث ،منشورات جامعة بسكرة و19 -20 أفريل2003 .

9-محمد كمال بشر: مفهوم علم الصرف،مجلة مجمع اللغة العربية،العدد25، نوفمبر 1969.

10- مختار بن قويدر:الانزياح من منظور شجاعة العربية ،الأثر مجلة الآداب واللغة ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة ـ،العدد9 ،ماي 2010.

11- معين رفيق أحمد صالح : دراسة أسلوبية في سورة مريم, رسالة ماجستير ،جامعةالنجاح الوطنية،2003.

12- مليكة النوي :مقارنة بين الأسلوبية ونظرية النظم –رسالة دكتوراه –جامعة باتنة ،2008 -2009.

13- فيصل حسين طحيمر غوادرة : المستوى البلاغي في سورة مريم، جامعة القدس 2002.

14- نعيم اليافي : الانزياح والدلالة،مجلة الفيصل ، عدد226، اوت /سبتمبر، 1995.

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير	
المقدمة	أ...هـ
مدخل: (تحديد مفاهيم الدراسة) 1 - 9	
الفصل الأول: الانزياح المصطلح والمفهوم	
المبحث الأول :مفهوم الانزياح	10
أ- لغة	11
ب- اصطلاحا	12
المبحث الثاني : الانزياح وإشكالية المصطلح	17
أ-الانحراف	19
ب-العدول	20
ج- الانزياح	22
المبحث الثالث :الانزياح بين العرب والغرب	23
أ-عند العرب	23
ب-عند الغرب	28
المبحث الرابع :أنواع الانزياح	34
أ- الانزياح الاستبدالي	34
ب- الانزياح التركيبي	38
المبحث الخامس : القرآن وظاهرة الانزياح	39
الفصل الثاني: الانزياح على المستويين الصوتي والصرفي	
المبحث الأول :المستوى الصوتي	43
أ-التشكيل الصوتي	43

ب-ملامح الأصوات والألفاظ	46
ج- الفاصلة القرآنية وجمالية الانزياح فيها	51
المبحث الثاني :المستوى الصرفي	53
أ-في الأفعال :	54
1- المجرد والمزيد	54
2- المتعدي واللازم	54
3- الأفعال الناقصة	55
4- أفعال المقاربة	55
ب-في الأسماء	55
ج- الأعلام الواردة في السورة	56
الفصل الثالث: الانزياح على المستويين التركيبي والدلالي	
المبحث الأول : الانزياح التركيبي	58
أ-التقديم والتأخير	58
ب-التكرار	61
المبحث الثاني : الانزياح الدلالي	67
أ-دلالة الألفاظ ومميزاتها في السورة	67
ب-المشترك اللفظي	70
ج- الترادف	72
د- التضاد	74
خاتمة البحث	78
قائمة المصادر والمراجع	81
فهرس الموضوعات	
ملخص البحث	

الملخص:

تتناول هذه الدراسة –التي تقع في ثلاثة فصول – ظاهرة الانزياح اللغوي في القرآن الكريم من خلال سورة مريم ، وفق منهج أسلوبي يتمحور حول المعطيات اللسانيات العامة، ويستثمر مستويات اللغة استثماراً نقديا وجماليا، وتتميز هذه الدراسة بأنها تحاول معالجة ظاهرة الانزياح من جانبها النظري، بالإضافة إلى دراسة تطبيقية على كلِّ السورة ، من خلال توضيح خصائص الأسلوب القرآني بمستوياته الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية .

مايبين بوضوح أن كلام الله المجيد يستوعب كل الجماليات الانزياحية اللغوية ، وأسلوبية الانزياح تتماثل بشكل أنضج .

الكلمات المفتاحية:

الانزياح – مستويات اللغة –الأسلوب – اللسانيات –التركيب .

Abstract :

This study -which contains three chapters- examines the phenomenon of language displacement in Quran through surat Maryam, According to a method stylistic wich concentrates on general linguistic data, and invests language levels critical and aesthetic investment. This study is characterized by trying to treat the phenomenon of displacement from its theoretical part ،besides an applied study on all the Sura, by clarifying the Quranic method in terms of vocal, morphological, syntactic and semantic. Which clearly shows that the words of glorious Allah contain all aesthetics of linguistic displacement, and the stylism of displacement is perfectly mature.

Keywords: displacement-Language levels-Style-Linguistics-Composition